REGD No. LW/NP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI

صدر حديثاً :

الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي

كاتباً ومفكراً

في ضوء مؤلفاته وكتاباته

وكما يراه علماء العرب والمسلمين وأدباؤهم

دراسة واستعراض

بقلم :

نذر الحفيظ الندوى الأزهرى

أستاذ دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

الناشر :

رابطة الأدب الاسلامى

(ندوة العلماء) لكهنؤ (الهند)

يقام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوى

مؤسسة الصحافة والنشر
(ندوة العلماء - لكهنؤ الهند)

العدد ١٠ المجلد ٣١ رجب ١٤٠٧هـ مارس ١٩٨٧م

مسؤولية الوعي
الحالي الإسلامي من جديد

البعث الإسلامي

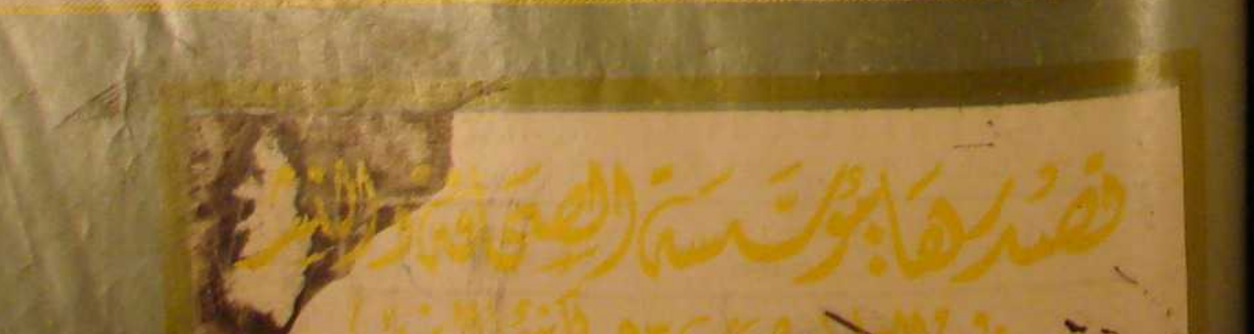

تصدرها مؤسسة الصحافة والنشر

أنشأها:
فقيد الدعوة الاسلامية الاستاذ محمد الحسني رحمه الله
في عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م

البعث الاسلامي

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

المجلد الحادي والثلاثون ★ رجب ١٤٠٧هـ — مارس ١٩٨٧م ★ العدد العاشر

المراسلات:
البعث الإسلامي ندوة العلماء، ص.ب ٩٣. لكهنؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI
Nadwat-ul-Ulama, P. O. Box 93,
LUCKNOW (INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الكريم ، حفظه الله تعالى

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ، وبعد :

فان مجلتك « البعث الاسلامى » تجتاز الآن عامها الحادى و الثلاثين ، وهى ماضية فى جهادها المتواضع منذ أمد بعيد ، رغم ضآلة وسائلها وقلة إمكانياتها ، و قائمة بواجبها الاسلامى على جبهة معادية مليئة بالأحقاد و الكراهية و مشحونة بوسائل الهدم و التخريب و فى بلد علمانى ليس الاسلام دينه الرسمى ، و ليست اللغة العربية لغته القومية .

فهلا نرجو منك - أيها القارىء الكريم - أن تشعر ببعض واجبك نحو مجلتك هذه و تتكرم ببذل شئ من وقتك الغالى فى سبيلها ، و ذلك أن تكسب لمجلتك هذه عدداً من إخوانك المشتركين و تتفضل بارسال اشتراكاتهم حسب التفاصيل المذكورة أدناه ، أو تقوم بانشاء وكالة للمجلة فى بلدك أو مجتمعك الذى تعيش فيه و تفيدنا بذلك فى أول فرصة ممكنة - نرجو أن لا يفوتك الاهتمام بهذا الموضوع الاسلامى فى أى حال ، وجزاؤك على الله الذى لا تنفد خزائنه .

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : / ٥٠ روبية ، ثمن النسخة خمس روبيات .

★ فى العالم العربى : /١٥ دولاراً بالبريد السطحى ، /٣٠ دولاراً بالبريد الجوى.

★ فى أوربا و أمريكا و إفريقيا : /١٥ دولاراً بالبريد العادى ، /٥٠ دولاراً بالبريد الجوى .

★ فى باكستان و بنغلاديش ودول شرق آسيا : ١٥ دولاراً بالبريد السطحى؛ /٣٠ دولاراً بالبريد الجوى .

المراسلات : مكتب البعث الاسلامى ، مؤسسة الصحافة و النشر
ندوة العلماء ص . ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

A L B A A S E L I S L A M I - C/o. NADWAT ULULAMA
P. O. Box, 93. Lucknow (INDIA)

المجلة لا تتقيد بكل فكر لكل كاتب ، ينشر فيها

فى هـذا العـــدد

★ **الافتتاحيـــــــة**

ندوة العلماء و الشريعة الاسلامية (٢) — سعيد الأعظمى — ٣

★ **التوجيـــــه الاسلامى**

استخدام العلم و العقل و الانتفاع به — سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى — ١٠
تأملات فى آيات من كتاب الله — الأستاذ محمد إبراهيم شقرة — ١٥
وثيقة كايروس : أصولها و أهميتها — الأستاذ مصطفى الطحان — ١٩

★ **الدعوة الاســـــلامية**

الطبيعة الاجتماعية للانسان — فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسنى الندوى — ٢٤
علم الأحياء و القرآن الكريم — فضيلة الأستاذ السيد شهاب الدين الندوى — ٣٤

★ **دراســـات و أبحـــاث**

ترجمات معانى القرآن الكريم و مذاهب المنحرفين فى الترجمة و التفسير — الدكتور عبد الله عباس الندوى — ٤١

★ **اقتصادنا فى ضوء الاسلام**

التأمين فى الاقتصاد الاسلامى — الأستاذ محمد صدر الحسن الندوى — ٥٢

★ **نحو أخوة إسلاميـــــة**

أفضل تخطيط للاخاء الاسلامى — فضيلة الشيخ عبد الله عبد الغنى الخياط — ٦٠

★ **دراسة خاصة بالأدب المخضرم**

عبد الله بن رواحة ، و شعره الجاهلى — سعيد الأعظمى الندوى — ٦٤

★ **أبحاث مختلفـــــــة**

قضية المسلمين ، دراسة شاملة ، وعرض موضوعى — الأستاذ مصطفى محمد الطحان — ٧٢
مقدمة سنن الترمذى — الأستاذ صهيب الحسينى الندوى — ٨١
عاكفة (شعر) — الأستاذ الشاعر محى الدين عطيه — ٨٨

★ **رجل فقـــــــدناه**

فضيلة الشيخ عبد البديع السيد صقر — سعيد الأعظمى — ٨٩

★ **أخبار اجتماعية و ثقافية**

عدد ممتاز عن العلامة الميمنى لمجلة المجمع العلمى الهندى — قلم التحرير — ٩٣
مؤتمر تاريخى لهيئة الأحوال الشخصية الاسلامية — محمد إبراهيم الندوى — ٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــــة :

ندوة العلماء و الشريعة الاسلامية

—: ٢ :—

اتضحت رؤية ندوة العلماء نحو الشريعة الاسلامية بما أسلفنا فى السطور الماضية ، وتبين حرص مؤسسها و رجالها البارزين على تخريج ذلك الجيل من علماء الاسلام الذين يؤمنون بخلود شريعـــة الله التى تتولى إسعاد الحياة الانسانية فى الدنيا و الآخرة و على جميع المستويات و الاعتبارات ، و لا يرون عنها أى بديل فى حال ما ، وفعلا قامت الندوة بانتاجات علمية قيمة تعتبر زيادة فى موضوع السيرة والسنة والتاريخ الاسلامى وبالتالى تحبب شريعة الله إلى النفوس وتمهد لتحكيمها فى الحياة و الاجتماع ، مع ترسيخ جذور العقائد الايمانية فى القلوب على تغير الظروف و وجهات الانظار بتأثير الأفكار الحضارية و العلمية .

و لكن ندوة العلماء حققت فى عهد رجلها المخلص العظيم سماحـــة الشيخ العلامة أبى الحسن على الندوى إنجازات وجيهة فى كل مجال من التعليم و التربية و شرح الحضارة الاسلاميـة و تفسير مقاصد الدين و مفاهيم الحياة الاسلاميـة ، وتصحيح مسار العلم و التحقيق ، وإبراز وجه الشريعة الاسلامية مشرقاً من ركام الأفكار والنظريات الزائفة ، إنه خطط الغرض الرئيسى لندوة العلماء بكل وضوح و وضع كل إمكانياته و مجهوداته فى سبيلها ، ووفقه الله لاعداد جيل من تلاميذه المخلصين ممن ساروا معه على الدرب ، و تابعوه على الخط المستقيم ، و ساعـدوه بكل ما استطاعوا من الطاعة و الولاء ، فكانت ندوة العلماء فى عهده منارا شامخاً للعلم و الأدب و الدين و الشريعة ، ومثالا فذاً للجمع بين الايمان الراسخ والعلم الواسع ، وحاملة لراية العقيدة النيرة و العلم الحديث ، و داعية إلى تحكيم الشريعة

فى جميع شئون الحياة ، و هاتفة بهتافها الوحيد : إلى الاسلام من جديد .

إنه هدم جميع الحواجز النظرية التى كانت تحول دون رؤية وجه ندوة العلماء و حركتها المشرق ، و الاطلاع على هدفها الواضح النير ، وطوى الشقة بينها و بين المراكز العلمية و الدينية الأخرى ، وقام بدور عظيم فى تقريب الصفوف ، وإزالة ما عاشه كثير من الناس من سوء ظن بندوة العلماء ، حتى إن بعضهم تأسفوا على ما كانوا يرون إليها من رأى ، و يعتقدون فيها بما لم يكن يمت إلى الواقع بصلة ، هنالك أعلن سماحته عن منهج ندوة العلماء الواضح البين فقال :

« تقوم فكرة ندوة العلماء ودعوتها فى الدين و العقيدة ، على الدين الخالص النقى من الشوائب ، البعيد عن تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، و تأويل الجاهلين ، وعلى العودة - فى تلقيه ، و فى فهمه ، و تفسيره - إلى منابعه الصافية الأولى ، ومصادره الصحيحة الأصيلة ، وفى العمل و السلوك ، على التمسك بلباب الدين ، و العمل بأحكامه ، و التحلى بحقيقته وروحه ، و الربانية المشرقة الصافية ، وفى تصورها للتاريخ ، على أن خير العصور هو العصر الذى ظهر فيه الاسلام ، و الجيل المثالى هو الجيل الذى نشأ فى أحضان النبوة ، وتخرج فى مدرسة القرآن و الايمان الأولى ، وأن السعادة فى الرجوع إليه والاقتداء به ، وفى نظرتها العلمية ، على أن العلم وحدة لا ينقسم إلى قديم و حديث ، وشرقى و غربى ، وإن انقسم فانما ينقسم إلى صواب و خطاء ، ونافع وضار ، و أصول و فضول ، و غايات و وسائل ، و فى موقفها من الأخذ و الترك ، و الانتفاع و الاقتباس على التعليم النبوى الحكيم : « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » و على المبدأ القديم الحكيم : « خذ ما صفا دع ما كدر » و فى مجال الدفاع عن الاسلام ، و مواجهة تحديات العصر ، على الارشاد الربانى : « و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة » و فى أسلوب الدعوة إلى الله ، وعرض محاسن الاسلام ،

و إقناع العقول ، على الوصية الحكيمة المأثورة « كلموا الناس على قدر عقولهم ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله » وفيما اختلف فيه السلف من مذاهب وآراء ، على التحقيق و التطبيق ، وإحسان الظن بهم ، والتماس العذر لهم ، وترجيح ما هو أوفق بالكتاب و السنة ، و أقرب لى جمع الشمل ، و أبعد عن الفرقة و التنافر ، و أقرب إلى مصلحة الاسلام الاجتماعية » .

و على أساس هذا المنهج الفذ ركز الرجل العظيم ، فقرر تطوير المناهج الدراسية بالأحدث الأصلح من المقررات و الدراسات التى تتجدد لحين و آخر فى مراكز العلم و الثقافة و فى ضوء ما يستحدث دائماً فى عواصم الحضارات و الأفكار المادية ، مع التمسك بالأصول و النصوص و بالكتاب والسنة والعقيدة و السيرة بغاية من القوة و الشدة ، حتى يتسنى للعالم الدينى أن يكون متسلحاً ، بجميع ما يلزمه من معلومات و اطلاعات و حقائق و تغيرات فكرية و علمية و حضارية ، ويتمكن من الدفاع عن شريعة الله بحيث يحببها إلى النفوس ، ويزيل عنها ما قد علق بها من سوء ظن بالاسلام وخلود رسالته للحياة البشرية على اختلاف الأزمان و الأمكنة ، و على تباين النظرات و الآراء ، يقول فى مناسبة وهو يتحدث عن فكرة ندوة العلماء :

« كان قادة هذه الفكرة ينظرون إلى مناهج التعليم و برامجه كأداة للتعليم قابلة للنمو و التطور ، خاضعة لحاجة كل عصر و مقتضاه ، و لم يكونوا ينظرون إليها كأداة حديدية لا مرونة فيها (مع الاحتفاظ بالروح و الأهداف والعلوم الأساسية) وهى عندهم حافلة بالحيوية الكامنة و الازدهار ، و بتعبير آخر : إن الدين حقيقة خالدة ليست فى حاجة إلى تطوير أو تبديل ، و لكن العلم شجرة مزهرة مثمرة تؤتى أكلها كل حين ، ويستمر نموها و ازدهارها ، والاسلام عندهم دين الانسانية كلها و دين العصور كلها ، لذلك من الطبيعى أن يمر بمراحل التطور و الارتقاء

الفكرى الانسانى المختلفة ، ويكلف القيادة فى بيئات تتغير فيها الأفكار و المفاهيم ، لذلك يجب أن يوسع نطاق التعليم و الثقافة الذى يعد ممثلى الاسلام و مفسريه ، و يبرهن دائماً على صلاحها و حيويتها » .

ولقد عزم على إعداد ممثلى الاسلام ومفسريه بشكل عملى ، فجند لذلك مواهبه و إمكانياته كلها ، و لم يترك أى ثغرة فى هذه الجبهة إلا وسدها ، وتحمل فى هذا السبيل كل عناء و بذل فيه كل مجهود ، وسهر على هذا العمل من غير أن يتخلله كلال أو يأس ، و واصل ليله بنهاره ، فكتب وراسل ، وألف ودون ، وحاضر وسافر ، ولم يدخر وسعاً فى إعداد الوسائل والعوامل التى يرجو فيها أى غناء للهدف الذى يتبناه ، وقد شرح الله صدره لتأسيس مجمع إسلامى علمى كقسم اكاديمى لندوة العلماء ، ليتسنى عن طريقه جمع و تأليف ونشر وتوزيع المواد العلمية والتاريخية والتشريعية بأسلوب عصرى يتفق وعقلية المثقفين و المتجددين ويخاطب عقولهم و يحدث فيهم الاقتناع بقضية الاسلام وخلود شريعته ، و احتوائها على جميع المشكلات و القضايا التى يمر بها العالم المتحضر ، وتعانى منها الحضارات الحديثة ويشقى بها الانسان المعاصر .

كان نشاط المجمع الاسلامى يعم الموضوعات الاسلامية بكل أنواعها و يتناول الجوانب العامة فأراد أن يكون هناك قسم خاص بالدراسات والتحقيقات الشرعية ، وأنشأ مجلس الدراسات الشرعية كمؤسسة شرعية تهتم بدراسة الفقه الاسلامى والبحث عن المسائل و المشكلات المتجددة بحكم الحضارات و المجتمعات المادية ، و كذلك الاعتناء بأحوال المسلمين العائلية والشخصية وتطبيق قانون الشريعة عليها ، مع تأليف كتب وبحوث نافعة فيما يخص الجوانب الشرعية فى المجتمعات الاسلامية ، وفعلا كان لهذا المجلس إسهام عملى فى تحقيق الهدف الذى أنشئ لأجله .

و لما رأى أن أولاد المسلمين يكاد يبتلعهم ذلك الفكر الاشراكى الوثنى الذى دس فى مقررات المناهج الرسمية التى وضعتها الحكومة لطلاب مدارسها ، و يغير

عقليتهم الايمانية بالكفر البواح فيرتمون إلى أحضان الشرك وعبادة الأوثان وتقطع صلتهم عن شريعة الله ، قلق لهذا الوضع ووجه دعوة إلى المهتمين بشئون المسلمين و مشكلاتهم و المعنيين بقضية التعليم والتربية من المسلمين المخلصين ، وعقد مؤتمراً إسلامياً بهذا الخصوص قرر إنشاء هيئة التعليم الدينى للمراحل الابتدائية و المتوسطة لمقاومة الوضع ، و إنقاذ النشء الاسلامى من خطر الردة و الخروج عن الدين .

و ما كان افتتاح المعهد العالى للدعوة و الفكر الاسلامى فى ندوة العلماء ، وتربية الطلاب الخريجين على روح الدعوة إلى الله و تدريبهم على العمل فى مجال الفكر الاسلامى إلا دليلا على ذلك الاهتمام الكبير الذى تولته ندوة العلماء باعداد جيل من الدعاة و المفكرين الذين يحملون لواء الشريعة الاسلامية فى عصر يزخر باتجاهات وأفكار مضادة تتهيأ لهدم الاسلام وتعكير الفكر الاسلامى ، وقطع علاقة المسلم عن حبل الله ، أو التشكيك فى نقاء السيرة والسنة النبوية ، وخلود الشريعة ، و احتوائها على جميع العوامل و الاسباب التى تتكفل بسعادة الحياة الانسانية فى كل زمان و مكان ، فى الدنيا و الآخرة .

و لولا نظرة العالم الدينى الواسعة التى تشمل الكون والانسان وقضايا الحياة ، و فكرته العميقة فى إدراك سر الخلق من خلال دراسته و تأملاته فى كتاب الله وسنة رسوله ، لما كان لهذا العالم الشأن الذى نراه ، فكم حاول الجهلة و المفسدون و أعداء دين الله أن يحولوا هذا العالم إلى مسرح للفساد و الدمار و البهيمية بكل ألوانها ، و السبعية بكل مخاوفها و أخطارها ، و لكن عباد الله الذين أكرمهم الله بالفقه و العقيدة و الايمان ، و الفكر السليم والنظر العميق ، كانوا السبب فى سنوح الفرص للعيش فى الدنيا و اتخاذها قنطرة للاخرة و ذريعة لجناتها و نعيمها .

و نظراً إلى أن هذا العصر الذى يعيش فيه المسلم زاخر بالفلسفات المادية و النظرات العلمية التى طالما تلبس عليه فكرة التشريع الاسلامى النقية و تثير فى

نفسه شبها حول تعاليم الاسلام و استمرارية انسجامها مع الطبيعة البشرية ، فكان لا بد من مقارنة تلك الأفكار و الفلسفات بالفكر الاسلامى فى ضوء الدراسة و التحليل العلمى ، و عرض حقائق الدين بأسلوب رصين علمى واضح ، و إذا تأملنا فى هذا الموضوع و حاولنا أن نعد رصيداً من الدراسات الاسلامية المقارنة وجدنا أسلوب سماحة الشيخ الندوى و طريقته فى الأخذ و الرد ، خير مثال رائد يوفر لنا الدليل والزاد والغذاء ، ويفتح لنا مدخل العمل وباب العلم والانتاج الغنى.

أقلقه الوضع التشريعى فى هذه البلاد ، ونظر ببصيرته الدينية وفراسته الايمانية إلى مستقبل بعيد يهدد بالخطر الداهم على نقاء وبقاء الشريعة الاسلامية فى هذه البلاد ، ثم رأى من واجبه الدينى أن يقوم بنفسه ، و يخرج إلى الساحة فيسهم فى إزالة الخطر باذن الله تعالى بكل ما عنده من إمكانيات ، و لم يأل جهداً فى أخذ العدة لمكافحة الخطر ، وآلى على نفسه أن لا يقعد مطمئن البال مالم يبذل جهوده المستطاعة فى دحض الأباطيل وتغليب شريعة الله على كل قانون وضعى أو مدنى أو قومى ، و اتخذ لذلك جميع التدابير اللازمة من كتابة و خطابة وتأليف وتدوين وجولات ولقاءات واسعة ، وقد بان قلقه واهتمامه الكبير بالموضوع حين فوجئ المسلمون بحكم المحكمة العليا بخصوص نفقة المطلقة المسلمة ، الذى كان متصادماً مع الشريعة الاسلامية ، والذى كانت طبقة من ضعاف العقيدة من المسلمين قد خضعت له وأشادت به ، بينما عارضه علماء المسلمين ، و رفضوه بشدة و صراحة ، و لم يكن حكم المحكمة العليا أمراً هيناً بل كان الشئ الأخير الذى لا تغيره أى محكمة أو مؤسسة .

و هنالك قام سماحته مع زملائه وأعضاء هيئة الأحوال الشخصية الاسلامية و أبلغ الحكومة الهندية أن المسلمين سوف لا يتلكأون فى تقديم أى تضحية لالغاء حكم المحكمة العليا ، و لكن القضية لم تكن يسيرة ، و لا يمكن تغيير حكم

(البقية على ص : ١٠١)

التوجيه الإسلامي

استخدام العلم و العقل و الانتفاع به

حتى فى القضايا الدينية ، والحث على النظر فى الأنفس و الآفاق

سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

لا نعرف ديناً من الأديان و لا صحيفة من الصحف السماوية ، دعا إلى استخدام العقل والانتفاع به و إلى التفكير والاستنتاج ، وربط المسببات بالأسباب و النتائج بالمقدمات ، و الاعتبار و الادكار ، وذم تعطيل ما وهب الله الانسان من صلاحية التأمل فيما حوله ، والاعراض عن آيات الله فى الأنفس والآفاق ، و البلاد و الأمم ، وما مضى من مثلات وعبر فى حياة الأمم ، و ما ظهر من نتائج الأعمال والأخلاق - على مستوى الأفراد والأمم و الحكومات والشعوب - مثل ما فعله القرآن .

إنه استحث على استخدام الحواس الظاهرة التى من أهمها العين ، و الانتفاع بها فى الرؤية الصحيحة حتى يؤدى من البصارة إلى البصيرة ، هذه أولى الخطوات فيقول :

« أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز ، فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم و أنفسهم أفلا يبصرون » (١) .

وذم تعطيل هذه القوة العظيمة التى هى وسيلة الاهتداء ، فقال :

« فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ، ثم عموا وصموا كثير منهم و الله بصير بما يعملون » (٢) .

---

(١) سورة السجدة — ٢٧ .

(٢) سورة المائدة — ٧١ .

و يقول : « قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أفلا تتفكرون (١) .

و يقول : « مثل الفريقين كالأعمى و الأصم و البصير و السميع ، هل يستويان مثلا أفلا تذكرون » (٢) و يقول : « قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور » (٣) ويقول : « وما يستوى الأعمى و البصير ولا الظلمات ولا النور » (٤) ويقول فى نهاية الزجر :

« وكأين من آية فى السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » (٥)، ويثير الغيرة فى أصحاب الأبصار فيقول : « فاعتبروا يا أولى الأبصار » (٦) .

أما حث القرآن على استخدام العقل و إثارة الغيرة فى أصحاب العقول ، فقد تكرر فى القرآن كلمة « تعقلون » ، حتى بلغ عدد ما ورد فيها إلى ثلاث و عشرين (٢٣) آية جاء فيها : « لعلكم تعقلون » ، « أفلا تعقلون » وقوله : « إن كنتم تعقلون » نذكر على سبيل المثال آيات :

« كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » (٧) « قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » (٨) ، « و للدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » (٩) « لقد

---

(١) سورة الأنعام — ٥٠ .

(٢) سورة هود — ٢٤ .

(٣) سورة الرعد — ١٦ .

(٤) سورة فاطر — ١٩ .

(٥) سورة يوسف — ١٠٥ .

(٦) سورة الحشر — ٢ .

(٧) سورة البقرة — ٢٤٢ .

(٨) سورة آل عمران — ١١٨ .

(٩) سورة الأعراف — ١٦٩ .

أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون » (١) و إنكم لتمرون عليهم مصبحين و بالليل أفلا تعقلون » (٢) ويصف أهل جهنم بعدم الانتفاع بهذه الحاسة الشريفة فيقول : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » (٣) ، كذلك و جاءت كلمة « يعقلون » فى مقام المدح أو مقام الاثبات إلى أكثر من عشرين .

كذلك شأن القرآن مع الدعوة إلى التفكير ومدح الذين يتفكرون ، و قد جاءت هذه الكلمة إحدى عشرة مرة فى القرآن كقوله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً و على جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات والأرض » (٤) ، « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » (٥) « إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٦) .

كانت نتيجة ذلك - زيادة على الاهتداء إلى الحقيقة الكبرى ، و هو ما أشار إليه القرآن بقوله فى هؤلاء المستخدمين للعقل و التفكير على الطريقة الصحيحة ، « ربنا ما خلقت هذا باطلا » (٧) - ، هو النشاط الفكرى العالمى فى مجال من مجالات العلوم و الصنائع و المدنية ، ظهر أثره فى العالم كله ، و كأنما فتحت كوة

(١) سورة الأنبياء — ١٠ .
(٢) سورة الصافات — ١٣٨ .
(٣) سورة الملك — ١٠ .
(٤) سورة آل عمران — ١٩١ .
(٥) سورة الأعراف — ١٧٦ .
(٦) سورة الرعد — ٣ .
(٧) سورة آل عمران ١٩١ .

و منفذ واسع يدخل منه النور و الهواء الطلق ، و كأنما كسر أو فتح ذلك القفل الذى وضعه أعداء الحرية والتفكير السليم أو الممثلون المزورون للديانات القديمة ، على العقل البشرى ، و انتبه العالم من سباته العميق الذى طال قروناً و آلافاً من السنين ، و بدأ يمسح عن عينيه آثار النوم العميق ، و يتقدم بخطى سريعة إلى تدارك ما فاته من التقدم و الرقى و تذليل العقبات و إزالة العوائق و الحواجز فى سيره الطويل ، يحدث عن هذا الأثر العالمى و عن هذه الهزة العنيفة والرفيقة فى وقت واحد عالم فرنسى كبير ، فيقول جوليفة كستلو Jolivt Castelot فى كتابه « قانون التاريخ » (Laloi De L, Histoire) :

« كان التقدم العربى بعد وفاة الرسول عظيماً ، جرى على أسرع ما يكون ، و كان الزمان مستعداً لانتشار الاسلام ، فنشأت المدنية الاسلامية نشأة باهرة ، قامت فى كل مكان مع الفتوحات بذكاء غريب ، ظهر أثره فى الفنون والآداب ، و الشعر و العلوم ، وقبض العرب بأيديهم خلال عدة قرون ، على مشعل النور العقلى و تمثلوا جميع المعارف البشرية التى لها مساس بالفلسفة ، والفلك ، والكيمياء والطب و العلوم الروحية ، فأصبحوا سادة الفكر مبدعين و مخترعين ، لا بالمعنى المعروف ، بل بما أحرزوا من أساليب العلم التى استخدموها بقريحة وقادة للغاية ، و كانت المدنية العربية قصيرة العمر ، إلا أنها باهرة الأثر ، و ليس لنا إلا إبداء الأسف على اضمحلالها » .

و يتقدم فيقول :

« ولئن كان سادة البلاد أصحاب أثرة ، فان العمل الذى تم حولهم كان أسمى منهم ، ومنه نشأت مدنية مدهشة ، و أن أوربا لمدينة للحضارة العربية بما كتب لها من ارتقاء من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ، وعنها أخذت الفكرة

الفلسفية العلمية التى سرت إليها سرياناً بطيئاً ناقصاً فى القرون الوسطى، و أن أوربا لتجلى لنا منحطة جاهلة أمام المدنية العربية، وأمام العلم العربى و الآداب والفنون العربية ، و أوربا تدين بالهواء النافع الذى تمتعت به فى تلك العصور للافكار العربية ، وقد انقضت أربعة قرون ولا حضارة فيها غير الحضارة العربية، وعلماؤها هم حملة لوائها الخفاق » (١) .

ويقول غوستاف لبون (Gustave Ledon) :

ينسب الناس إلى باكون (Francis Bacon) قاعدة التجربة و الملاحظة و المنطق الاستقرائى (Inductive Logic) وهما الأصل فى أساس البحث العلمى الحديث ، بيد أن الواجب أن يعترف اليوم أن هذه الطريقة كلها هى من مبتدعات العرب .

و يقول Rodert Briffault فى كتابه : The Marking of Humanity

« ما من ناحية من نواحى تقدم أوربا إلا و للحضارة الاسلامية فيها فضل كبير و آثار حاسمة لها تأثير كبير » (٢) .

و يقول : « لم تكن العلوم الطبيعية (التى يرجع فيها الفضل إلى العرب) هى التى أعادت أوربا إلى الحياة ، و لكن الحضارة الاسلامية قد أثرت فى حياة أوربا تأثيرات كثيرة و متنوعة منذ أرسلت أشعتها الأولى إلى أوربا » (٣) .

---

(١) الاسلام و الحضارة العربيـــة ، للاستاذ محمد كرد على ، ج / ٢ ، ص / ٥٤٣ — ٥٤٤ .

(٢) أيضاً ، ص / ٢٠٢ .

(3) The making Qf Humanity p. 2O2.

تأملات فى آيات من كتاب الله

الأستاذ محمد إبراهيم شقره
مدير مسجد الأقصى

« المص، كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين، اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم، ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون، و كم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياناً أو هم قائلون ، فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين، فلنسألن الذين أرسل إليهم و لنسألن المرسلين، فلنقصن عليهم بعلم و ما كنا غائبين ، و الوزن يومئذ الحق ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، و من خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون » .

هذه الآيات التسع هى صدر سورة الأعراف ، و هى السادسة من السبع الطوال، مكية، اشتملت على جوانب متعددة من جوانب النفس والمجتمع والتاريخ، وكل جانب منها يتسع لألوان متعددة تشكل فى مجموعها نمطاً من أنماط الحياة الانسانية.

تبدأ هذه الآيات بحروف متقطعة كالعديد من سور القرآن ، وقد اختلف المفسرون فيها على أقوال ، و القول الذى يكاد يقودك إلى القناعة الهادئة ، أن هذه الحروف تحمل التحدى للخاطبين بسور القرآن الكريم ، و إنهم غير قادرين على الاتيان بمثلها رغم أنها مؤلفة من الحروف الهجائية التى يتألف منها كلامهم ، وبه تبووا قمة الاعجاز ، ولانت لهم أعطاف البيان، وساروا بلغتهم العربية يتيهون على كل اللغات ، و لكن القرآن الكريم بكل ألوان الاعجاز فيـــه فل إعجازهم ،

وكسر شوكة بيانهم، وصدهم عن التطاول بفصاحتهم إلى مشارفه، الرفيعه، وصاروا لا يملكون إلا الصمت يعبرون به عن عجزهم .

ثم تأتى الآية الثانية لتدفع ما ينتاب قلب الرسول عليه السلام من جرح و هو يتردد فى إبلاغ قومه كلمة ربه الداعية إلى الحق ، فهى الكلمة التى تحمل للناس الهداية و تزجى لهم معانى الخير و السعادة ، و فى سبيلها يهون كل شئ ، و الله سبحانه لا يرضى لنبيه أن يمتنع عن إبلاغها خشية ما يكون من صدود قومه ، و إبائهم الرضوخ لها ، و كما يكون النبى ، يكون الداعية إلى الله ، فلا ينبغى للداعية إلى الله ، و هو يدعو الناس بكلمة الله و إليها أن ينصرف عنها من أول أذى يلحقه بها ، أو يقعد عن حملها لأول شدة تدركه منها ، بل لا بد أن يظل مثابراً نشيطاً دائباً فى سعيه حتى يجنى ثمار سعيه باستقطاب الناس حول كلمة الله ، و قد جاء هذا المعنى فى أول سورة الكهف « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجاً قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ما كثين فيه أبداً . . . إلى أن يقول ، فلعلك باخع نفسك على آثارهم أن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » ثم تأتى الآية التى بعدها تكشف زيف القيم التى يحتكم إليها أهل الضلال ، و انها قيم زائله تحقرها النفوس المؤمنة و تعرض عنها ، و تقدسها النفوس المنحرفة و تقبل عليها « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا و إنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزا » فتعطى قوة للداعية يحس بها تسرى فى عقله و عواطفه ، ينال بها ما لا يقدر على نواله غيره ، ثم تمضى الآيات فى بيان الواجب الذى يفرضه الولاء لهذه الكلمة، فتقول : اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، و هو القرآن و السنة ، و الاتباع لا يكفى فيه مجرد الاعتقاد ،

بل لا بد من العمل بمقتضاه ، ولا يكون تاماً إلا بموافقة الظاهر للباطن ، والعمل للايمان ، و الانحراف بالعمل أو التفكير هو اتباع لغير ما أنزل الله ، و تصور فاسد يجب العدول عنه ، و موالاة للباطل الذى يفسد على الحق صلاحه للاشياء، و لهذا كان النهى صريحاً « و لا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون »، وبياناً لعاقبة المخالفة عن أمر الله و الابتعاد عن منهج الوحى والخروج عن طاعة الأنبياء و المرسلين ، تأتى الآية التى بعدها زاجرة فى أسلوب الخبر القصصى « وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أوهم قائلون » فهؤلاء المخالفون يأتيهم العذاب وهم مستغرقون فى نومهم ليلا أو وهم فى سنة القيلولة نهاراً، فى الوقت الذى يطمئنون فيه إلى أن مكروهاً لا يصيبهم ، أو نعيماً لا ينصرف عنهم، هكذا وهم فى سكرة الاطمئنان الصارفة عن السماء و وعيدها يأتيهم العذاب ، فلا يجدون ملجأ حينئذ و يكونون من بعد عبرة للأجيال أن تسلك سبيلهم أو تأخذ من باطلهم .

ثم ينتقل القرآن بنا نقلة بعيدة يتخطى بها أبعاد الزمان فيصفنا على مشارف الآخرة بنصر منها مشهد الحشر المكتظ بألوان البشر المختلفة ، و كل لون يحسر عن ماضيه ، ويكشف عن خفاياه ، عله يجد فيه شيئاً يسعفه و يخفف عنه من هول ما هو فيه ، و هناك تنقطع الأسباب الواصلة ، تلك قيمة الدنيا ، فلا المال ينفع ، و لا الجاه يدفع ، و لا الملك يرفع ، فرب فقير يكون عندئذ أغنى الناس، ورب وضيع فى هذا الموقف يكون أعظم الناس ، و رب عار من الملك يكون سيد الناس ، هناك يسأل ربنا لمن الملك اليوم، و يأتى الجواب بلسان واحد و لفظ واحد و وقت واحد « لله الواحد القهار » .

و فى هذه النقلة تطالعنا صورة أولئك الذين حل بهم الهلاك فى الدنيا الذين ظلموا أنفسهم و كانوا فى غفلة عن هذا اليوم ، فى تعبير قرآنى محكم « إنا كنا

ظالمين » فلا حجة يدفعون بها عن أنفسهم ، ولا برهان يسندون به باطلهم ، ولا قوة كانوا يملكونها تنجيهم عن ذلهم ، فقد تجردوا إلا من ضعفهم ، و سلبوا إلا من هوانهم ، وجردوا إلا من واقعهم ، فما يدرون ما يقولون ، و لكنها ألسنتهم تقول « إنا كنا ظالمين » فلا يملكون لها منعاً ، فقد أنطقها الذى أنطق كل شئ.

و هناك بين يدى الله عز وجل يقف الناس للحساب ، و يكون سؤال و جواب ، السائل هو الله و المجيب هو الله ، فقد أبلست الألسن ، و انقطعت الحجج ، و اضمحلت القدرة ، والسؤال يكون أولا لمن أرسل إليهم الرسل « ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا » ثم للرسل ، فلا الرسل يجيبون و لا الذين أرسل إليهم ، ويكون الجواب « فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين » فينبئهم الله بما عملوا و ما أظهروا و ما أخفوا فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ينشر عليهم على رؤوس الأشهاد ، فتكون الحسرة و الندامة لمن كذبوا و عصوا رسل ربهم ، و يكون الفوز و الكرامة للرسل و من تبعهم و سار على نهجهم ، فمن ثقلت موازينه بالصالحات فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه و شالت بالسيئات فأولئك الذين خسروا أنفسهم و ضل عنهم ما كانوا يعملون ، فالمفلحون فى الجنـــة هم فيها خالدون ، و الخاسرون فى جهنم هم فيها خالدون ، فسعداً للمفلحين الفائزين ، و تعساً للخاسرين النادمين .

وثيقة كايروس : أصولها و أهميتها

الأستاذ مصطفى الطحان

بدأت مجموعة من رجال الدين والقساوسة بوضع وتطوير وثيقة كايروس فى سويتو فى شهر أغسطس ١٩٨٥م ، و من هذا الاجتماع الصغير نشأت مجموعات أكبر حتى بلغ عدد الذين شاركوا فى أعمال البحث والتحرير وتعديل الوثيقة أكثر من مائة رجل من رجال الكنيسة حتى ظهرت إلى الوجود ونشرت فى الصحف يوم ٢٥ سبتمبر ، و قد ثبت أنها من أقوى التصريحات الدينية إثارة للجدل فى جنوب إفريقيا .

فكيف حدث ذلك ؟ وكيف لقيت الوثيقة هذا القبول الفورى والواسع هنا أو فيما وراء البحار ؟ كانت المجموعة الأصيلة التى اجتمعت فى سويتو تحاول مبدئياً استطلاع النظرة الدينية فى المشكلة الحالية التى تمر بها البلاد ، و هذه الأزمة السياسية ما هو مغزاها بالنسبة للمسيحيين ؟ ما الذى يريدنا الرب أن نفعله لكى نكون عملياً قد انتهزنا الفرصة الذهبية التى تحينت لنا ؟ لم يكن أحد منهم يجرؤ على القول بأن لديه إجابات شافية ، ولكنهم كانوا بالفعل قلقون عما يجرى فى البلاد بحيث يتعين عليهم البدء باجراء البحوث اللازمة و إشراك آخرين فى محاولة البحث عن مشيئة الله فينا فى هذه الآونة الخطيرة فى جنوب إفريقيا .

و أوضح البحث أن الكثير الكثير من المسيحيين فى مدن جنوب أفريقيا بدأوا يفكرون بطريقة يمكن أن نسميها « الدين الشعبى » فكانت وثيقـــة كايروس محاولة أولية لصياغة ونظم مدى فهم الناس لدينهم ، و انتقاداتهم لما يظنون أنه رد فعل مسيحى على المشكلة الحالية .

و قد تبين مدى جدية القلق وشدة الاهتمام لدى المجموعة الأصيلة من رجال الدين و القساوسة و من انضموا إليهم فيما بعد فى الاجتماعات و المناقشات التى أفرزت الوثيقة، و لتقويم وثيقة كايروس لا بد لنا من تقويم اعتبارات القلق و الاهتمام التى يتقاسمها المسيحيون فى مدن جنوب إفريقيا القريبة من الريف، مؤلاء سيفهمون على الفور ما تعنيه الوثيقة وما قصده رجال الدين، أما الذين، يعيشون بعيداً عن التجربة و لا يعرفون الكثير عن حقائق الحرب الأهلية التى تدور من حول المدن، مؤلاء لا بد أن يتعرفوا على اهتمامات الذين وضعوا وثيقة كايروس نقطة بنقطة.

أول الأمور التى تقلق رجال الكنيسة هو انتشار قتل و تعذيب وسجن الأطفال و الشباب بواسطة رجال الأمن والجيش، فقد شعروا «بالفزع الشديد» لأعمال العنف القمعية التى يلجأ إليها النظام، لقد كان الاضطهاد و الظلم هنا منذ وقت طويل متمثلا فى العنف العنصرى الرسمى، لكن العنف والبشاعة و الوحشية و الاستفزاز الذى بدأ رجال السلطة فى ممارسته ضد سكان الضواحى وخاصة بعد إعلان حالة الطوارىء أصبح بحد ذاته مشكلة لا نظير لها من قبل، كل رجال الدين فى كنائس الضواحى السوداء كانوا شهوداً على المجازر التى نصبت لذبح الشعب، وأصبح عليهم أن يفعلوا أو يقولوا شيئاً بخصوص ما يحدث تحت سمعهم وبصرهم، لم يعد ممكنا أن يظلوا على صمتهم و يتركوا الأمر كله فى أيدى بعض الأساقفة و زعماء الكنيسة الذين يقدمون احتجاجات هزيلة معتدلة، فان ما يرونه بأعينهم فى الضواحى السوداء لا يحتمل إلا اسما واحدا هو «الطغيان».

لقد كان أول اهتمام رجال كايروس هو «وقف أعمال العنف»، و لا شك أن الكثيرين ممن وجهوا اتهامات إلى مؤلاء الرجال بأنهم يحرضون و يدعمون

العنف قد أثبتوا بذلك أنهم لا علم لهم بما يجرى فى الحقيقة فى ضواحى المدن فى جنوب إفريقيا.

و كان الاهتمام الثانى هو ضرورة أن يتم كل ذلك باسم المسيحية، فقد سبق أن وجدت التفرقة العنصرية ذاتها وما صاحبها من أعمال قمعية وحشية لسحق أى مقاومة ضد التفرقة العنصرية، وجدت لها مبرراً من تعاليم العهد الجديد، وقيل بأن الرب أعطى أولى الأمر فى الدولة الحق فى أن يتصرفوا كذلك، وقد شعر رجال كايروس بأنه قد حان الوقت للتنديد بسوء استخدام اسم الرب و تعاليم الانجيل فى أمور غير مؤكدة، فى رأيهم إنها لم تكن مجرد هرطقة، ولكنها كانت مؤامرة شيطانية وكفراً قاطعاً، و كان لا بد بالتالى من توضيح ذلك للناس حتى يعرفوا المعنى الحقيقى للمسيحية.

و كان الاهتمام الثالث يتمثل فى عدم فعالية رد فعل الكنيسة الرسمية إزاء التمييز العنصرى و على وجه الخصوص فى الأزمة الأخيرة، قاموا بدراسة البيانات التى أصدرتها الكنيسة فى السنوات القليلة الأخيرة و تبينوا منها كم كانت غامضة و ناعمة، لم تكن تحمل بين كلماتها تلك القوة الهائلة والتحدى العظيم الذى يترتب على انجيل المسيح عيسى لمعالجة الأزمة المتفاقمة، لم يكونوا يقصدون بذلك إظهار عدم ولائهم للكنيسة و لا مضايقة كبار رجالاتها، و إنما كان قصدهم الأول أن يدعوا الأمر لتدخل قوى من جانب الانجيل، فهم بعد ذلك شئ يبشرون بكلمة الرب و بالتالى مسؤولون عن كلمة الحق الفعالة و المؤثرة و بخاصة فى زمن تحيق فيه أزمات خطيرة بالبلاد.

ويرتبط بذلك أيضاً قلقهم الشديد إزاء الاغراء الخطر الذى يتمثل فى البقاء على الحياد، أو الجلوس فى مقاعد المتفرجين، فقد ظلت الكنيسة دوماً تحاول

البقاء على الخطوط البعيدة متذرعة بأن المشكلة سياسيـــة فى الأساس ، و بالتالى لا تدخل فى اختصاص الكنيسة ، فهى لا مصلحة لها فى منـاصرة جانب دون الآخر ، و إنما يجب عليها فى كل الأحوال أن تعرض على الأطراف « الطريق الثالث » ما أثار قلق رجال كايروس هو أنهم قد يكونون فى الواقع قد وضعوا فى موقع خيانة الأمة ومعاناة شعب البلاد بوقوفهم على الحياد ، أليس ذلك الحياد هو الذى شارك مع أمور أخرى فى تمكين النظام القمعى من الاستمرار طويلا فى ممارسة الوحشية و العنف الشديد الذى اتسم به مؤخراً ؟ فكيف إذن نعتـــذر عن مناصرة طرف و الوقوف إلى جانبه ضد الشر والظلم و الوحشية ؟ ولذا اهتم رجال كايروس بضرورة تحديد مصدر الشر فى البلاد وتسميته علناً و إدانته بشكل لا يمكن أن يساء فهمه .

و امتد القلق إلى أزمة الكنيسة نفسها ، فالكنيسة منقسمة على نفسها بحيث أصبحت هناك كنيسة بيضاء وكنيسة سوداء ، و لم تعد أى منهما تفهـــم مضمون الدين المسيحى بنفس الطريقة كالأخرى مع أن كلا الظالم و المظلوم يدينـان بعهد الولاء لنفس المسيح ونفس المعتقدات ونفس الكنيسة ، وتلك أزمة خطيرة تواجه المسيحية ، و أصبح علينا بكل جدية أن نتساءل عما إذا لم تكن المسيحية فى تلك الظروف قد صارت ديناً يشوبه اللبس والغموض ، بلا أى معنى على الاطلاق ، لكن رجال كايروس كانوا على ثقة من أن للمسيحية معنى عميقا ، معنى شديد الأهمية ، معنى حاسماً فى مثل هذا الوقت و أمثال تلك الظروف .

وكان قلقهم الأخير على رسالة المسيحية المبشرة بالأمل ، فقد شعروا بأن رسالة الأمل المسيحية قد أهملت وطرحت جانباً فى وقت اشتدت فيه حاجة كل فرد فى جنوب أفريقيـا إلى الأمل فى المستقبل ، لم تعد الكنيسة حاملة لواء الأمل فى

البلاد ، فقد كانت هى أيضاً تنتقد وتلوم و تلتزم جانب الحذر والحرص ، ولكنها بعد كل ذلك نسيت أن تنشر الرسالة الجريئة والرسولية للامل المسيحى ، فكانت وثيقة كايروس محاولة لغرس شئ من الأمل فى نفوس الذين يرفضون شرور التمييز العنصرى بكافة أشكاله .

هل هى لاهوت جديد ؟ هل هى نوع جديد من المسيحية ؟ نعم و لا ، إنها جديدة فقط من حيث إنها تحمل الرسالة التقليدية للمسيح عيسى محملا جديداً يواكب الموقف الحالى و يتدخل لايجـاد الحل بشكل لم يحدث من قبل ، الذين وضعوا الوثيقة و الذين وقعوها ينتمون إلى كل المذاهب المسيحية من الكاثوليك و البروتستـانت و الانجيليين و المستقلين الافارقة و الرسوليين ، و كذلك الذين ينتقدونها ينتمون إلى كل تلك المذاهب ، أين الفرق إذن ؟ الفرق هو التحليل النهائى لنظريتين متباينتين من حيث وجهة النظر إزاء الأزمة الحالية ، نعم هناك الغالبيـــة ممن يشهدون على تلك الأزمة بأنها نتيجة ظلم وطغيان لا سبيل إلى السكوت عليهما ، و هناك أيضاً الذين لا يفهمون و لا يستطيعون أن يقيموا ما يجرى فى بلادنا اليوم ، من هنا فان مدى ملاءمة الانجيل و تعاليم المسيحية لا بد أن يكون فهما مختلفاً طالما طريقة فهم الموقف برمته مختلفة أصلا .

أكبر

الدعوة الاسلاميـــة :

الطبيعة الاجتماعية للانسان

(الحلقة الثانية)

فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسنى الندوى
عميد كلية اللغة العربية و آدابها بجامعة ندوة العلماء لكـناؤ
تعريب : الأخ محمد إبراهيم الردولوى الندوى

معتقدات المجتمع و دوافعها :

إن المعتقدات لدى المجتمع أو الجماعة و الأقدار المعهودة بينهم من جهة أساسيتها وغير أساسيتها على مستويين مختلفين، فبعضها أساسية مبدئية لا تقبل التغيير و التبديل بسهولة و الأخرى غير أساسية تؤثر فيها العوامل الخارجية و مؤثرات مختلفة فتتعرض للتغير و التبدل .

و يعمل فى بناء هذه المعتقدات و الأقدار و التصورات و القيم و تغييرها صنفان من العوامل ، العوامل البعيدة و العوامل القريبة .

العوامل البعيدة : و منها الديانة :

فأهم وأقوى عامل من بين العوامل البعيدة أو غير المباشرة، التأثيرات الدينية فهى أكثر تأثيراً وأشد نفوذاً فى بناء الأقدار و المعتقدات ، وجل المعتقدات تنجم عن تأثيرها، ونظرة فاحصة فى التاريخ الانسانى تخرج بأن التأثيرات الدينية ضربت رقماً قياسياً فى تكوين معتقدات الجماعات ، وبالتالى فى صيانتها من يد الحدثان والقيام عليها حية خالدة، أما العوامل و المؤثرات الأخرى، فتأتى فى الدرجة الثانية بعد

المؤثرات الدينية و هذه القوة للمؤثرات الدينية تبدو جلية بارزة فى مناحى الحياة العديدة ، و التاريخ الانسانى غنى بأمثلة من ذلك لا يأتى عليها الحصر ، ذلك أن الدين يباشر بخطابه قلب الانسان ولا مجال للعقل دون تأثر القلب، فالقضية قضية اقتناع الانسان و ميله من داخل نفسه و باطن قلبه فقط، و لا لزوم فى ذلك بما إذا اقتنع عقله و تأثر أم لا ؟

و لما إن المجتمع تغلب عليه طبيعة لا شعورية ، يكون أشد انجذاباً وأسرع استماعاً لكلمات دينية نافذة رقيقة .

وما سوى الدين فان هناك عوامل تجدر بالذكر، منها ما يتصل بالقومية والتقاليد المتبعة و نظام الحكم و مراسم الاجتماع و طرق التربية و التعليم، وكلها تلى بعد الدين و تدخل فى إطار العوامل البعيدة :

القومية :

إن القومية تبتنى على نظرية مشتركة، تقوم على وحدة حضارية ولغوية و مدنية و تحمل النعرات المرتفعة باسمها أثراً بعيـــد المدى ربما تؤدى إلى وجود حركات و ثورات كبيرة و فعالة، ومن الممكن أن نشاهد قوتها و نفوذها العميق بعد الدين خلال الأحداث و الوقائع فى كثير من البلدان .

التقاليد القومية :

وليس أقل شأنا أو أضعف قوة فى حياة الجماعة تأثير التقاليد المتبعة والمأثورة و المجتمع يحتضنها ويتعلق بها كثيراً و يحنو عليها بكل قلبه، يتناولها الأجيال كابراً عن كابر ، و ينهض المجتمع أحياناً فى سبيل الاحتفاظ بها بتقديم تضحيات سخية و مغامرات جادة ، ويضمها إلى صدره و يفتح لها قلبـــه على كل حال ، وبكل طريق .

نظام الحكم و الاجتماع :

و لنظام الحكم و الاجتماع تأثير عميق و بعيد أيضاً، و يتذرع نظام الحكم فى تكوين معتقدات شعبه و أمته و البقاء عليها بطرق عديدة و وسائل منوعة، ويقوم بتطوير أشكالها و الارتقاء بها التى توافق مع طبيعته و تتعاون فى تحقيق هدفه، ومثل نظام الحكم نظام الاجتماع، فانه كذلك يحمل أثراً قوياً، فانه يتطرق بتأثيره الى جوانب كثيرة لا يجد نظام الحكم إليها سبلا .

الزمن : و كذلك الزمان له تأثير فى قلب المعتقدات والقيم، فبتقلب الزمان تتحول القيم و الأقدار، فكثير منها يطرأ عليها البلى و يأتى عليها الدهر أو تتعطل فتضاءل أثرها أو ينتهى دورها للأبد، وتحل محلها قيم و أقدار حديثة لم تعهد من قبل .

نظام التعليم و التربية :

أما نظام التعليم فهو من أقوى العوامل وأكثرها تأثيراً، فان الأفراد الذين يدخل بهم المجتمع فى حيز الوجود تتأثر حياتهم و تأخذ سمة بارزة و مغايرة عن سابقتها بالعلوم وطرق التربية، يتلقونها و يتدرجون عليها فى أوائل عمرهم، وهؤلاء يشكلون فيما بعد عناصر جوهرية للمجتمع، ويسبكون أساليب المجتمعات و معتقداتها فى قالب جديد و يقدمونها فى أشكال جديدة، و بذلك يعود التعليم و التربية مؤثرين تأثيراً بالغاً لا يستهان به على الجماعة، باستخدام العوامل القريبة المباشرة عن طريق الشباب واليافعين .

العوامل القريبـــة

و منها قوة الألفاظ :

من العوامل القريبة أو المباشرة التى لها تأثير فى تغيير معتقدات الجماعة، الألفاظ

والتعابير الأدبية، وهذه الكلمات والتعابير الأدبية يزداد تأثيرها بأضعاف مع تلك المعانى التى تتصل بخلفياتها، وبها يمكن التأثير فى طبيعة المجتمع، كما أنها تحمل تأثيراً كبيراً فى مـ العواطف و دك الأذهان إذا وجدت محلا لائقاً بها فى الاستعمال و كثر ترديدها فيه، وفى بعض الأحايين يؤثر ترديد بعض الكلمات تأثيراً لا تؤثره الدلائل الكثيرة والتأويلات العقلية و أساليب التفهيم المختلفة، وقد استفاد النادس كثيراً من هذا السحر الكامن فى الكلمات، فى تحقيق أعمال جسيمة ومآرب جليلة، و حولوا بذلك مجرى التاريخ و اتجاه الشعوب، و أقرب مثال على ذلك ما وقع فى الهند قبل التحرر من نير الاستعمار البريطانى، فكانت كلمات الحرية والاستقلال والثورة والانكليز والانكليزية، السلطة والاحتلال الخارجى، العبودية والأجانب، وما شاكلها من الكلمات، أقوى الكلمات وأشدها تأثيراً على الشعب الهندى والجماهير المستعبدة، كما أن هناك كلمات خلابة فى أيامنا الحالية تأخذ بمجامع القلوب وتستميل العقل العام بمجرد نطقها وأدائها، بطريقة أوتوماتيكية، وربما يتنبه السامع إلى حقيقة ما وراءها وتكشف له أبعادها فان صاحبها يكون قد استغل أهدافاً، وحقق مرامى بعيدة المدى، مثل الأمن و السلام، الحرب، العمال، المساواة، الاستعمار، الاشتراكية، الأمن العالمى، الاستقلال أو الاستبداد، النظام الرأسمالى، المخابرات الأميركية السرية، وما يضارعها من المصطلحات الحديثة، وبعض الكلمات تنطوى على خلفية قوية، فتكون هذه الخلفية أشد تأثيراً على الحضور من هذه الكلمات نفسها عند ما تستعمل مراراً و تكراراً حتى لا يدرى السـامع هل تؤثر عليهم الكلمات أو خلفياتها التى لا يحتاج إليها المقام ولا يصح أن يراد بها فى هذه المناسبة.

الأوهام و التصورات الباطلة :

الثانى من العوامل القريبة هو التصورات الباطلة الناتجة عن التوهم والتخييل،

التى يقوم عليها أساس المدنية ولأن عقل الشعب العام أكثر تقبلا للأوهام وتوددا إليها، كثيراً ما يعتمد عليها و على التخيلات بالنسبة للاستناد إلى الحقائق الثابتة .

و الحقيقة التى لاتثير أى جدل أن ما يحلو فى العقول و يستحوذ على الأذهان هو الذى يولد الأفكار و يفرز الآراء، و إنما الظروف و الأحداث تبنى فكرة و تهدمها و قد تغاير التصورات و الأفكار مع الأحداث الحقيقية رأساً بل و قد تضادها مطلقاً، إلا أن الجماعة تتكئ فى إصدار الحكم الأخير على ما عرفته من أوهام و تخيلات ضعيفة ، و عندئذ لا تسمن حتى جهود النابهين و العقلاء و لا تغنى من فائدة .

ولذلك فان كثيراً من التقاليد والرسوم الخرافية والأوهام النابعة من الشرك والكفر تعرقل سبيل الحقائق الواضحة المستنيرة ، مصدرها الحق والايمان الخالص، وقد تترك دلائل الدعاة و حجج المتطوعين فى مجال التوجيه و الارشاد لا تعمل عملها فى القلوب ، و فى مثل هذه الفترات تنجح غالباً الوسائل التى تراعى طبيعة الجماعة فى استفزاز عواطفها و إيقاظ شعورها و وعيها بالنسبة للوسائل الأخرى التى لا تكترث فى هذه العملية بطبيعتها .

التجارب :

الثالث من هذه العوامل التجارب التى يحققها المجتمع من ذات نفسه ، و هى تصلح للتأثير فى معتقدات الجماعة إلى حد ما و إن كانت تصطدم مع الأوهام والتخيلات ويجرى بينهما صراع. فلا تعود هذه التجارب بمحضها عاملا قوى الأثر إلا أنها كلما ترتسم فى الأذهان صورها صافية و تنعكس شفافة نقية يزيد تأثيرها على الأفكار و المعتقدات ، وفى صورة بديهية تتحول الأوهام و التخييلات لتقبل

التغيير والتعديل بعد مشاهدتها بنظر غائر دقيق ومرور تجربتها ووضعها تحت المحك .

وفى أوربا لما دخلت البحوث العلمية و الكشوف الفلكية فى تجارب الحياة اليومية ، وعلى طريقة مطردة و صورة بارزة جلية ، لم يستطع الشعب والحكومة و لا تزمت الكنيسة أن تعوق فى طريق تطورها و رواجها و تمنعها من الشمول و التغلغل ، و قبل أن تحسر هذه الاكتشافات قناع الخمول و النيـاب ، و تبرز واضحة للأبصار لاقى أصحابها ضروباً من المشاكل و أقسى أنواع العذاب .

العقل الانسانى :

و العامل الرابع و الأخير من هذه العوامل هو العقل الانسانى الذى يريد كالعوامل الأخرى أن يؤثر على المعتقدات ، و ينجح أيضاً فى هذه العملية إلى حد محدود، ولكنه أضعف عامل فى التأثير على معتقدات الجماعة ، فان قضية أو حقيقة من الحقائق إن لم تثبت إلا عن طريق عقلى فقط يحتمل أن تتأثر بها المعتقدات و لكنها لا تتهيأ للخضوع أمامها بقبول تغير شامل فى أغلب الأحوال ، فيضطر إلى تعاون القلب و الوجدان لتحقيق المطلوب كضرورة حتمية .

أبعاد الدين و القومية على معتقدات الجماعة :

سبق فيما ذكرنا أن الديانة لها تأثير عميق ومفعول نافذ وبعيد على المعتقدات و القيم لدى الجماعة ، ومن العوامل و المؤثرات الفعالة الأخرى سوى الدين و التى تؤثر مثل تأثيره ، صلة القوميـة التى تتضمن حالة من نوع آخر من جهـة التأثير و المفعولية .

وأبعاد التأثير من جهة الدين و القومية تغطى محيطات واسعة لقيم ومعتقدات المجتمع بصفة عامة ، و ذاك أن علاقتهما راسخة الجذور إلى أعماق القلوب و تمس بعواطف الانسان و وجدانه إلى آخر مدى ، و لكل منهما مساهمة كبيرة فى إضفاء لون خاص على الحياة الاجتماعية .

الديانة : أما الديانة فمن وظيفتها الأساسية أن تربط علاقة المجتمع بالله الذى خلقه، وهى تود أن تخضع جميع المعتقدات والعادات لمرضاته وحبه وتهز العواطف الدينية المغمورة فى مكامن القلب لتحقيق هذا الهدف و تدفعها عاملة فعالة .

الشعور بعظمة القوة الغيبية :

الانسان بطبيعته و أحاسيسه الخفية فى باطن النفس يحمل فى قلبه شعوراً كامناً بعظمة قوة غيبية و مهابتها، و إذا تصور شيئاً أو عرضت له حالة يمكن أن يتمثل فيها بدأ متحركة لهذه القوة الغيبية، تفتعل بها عواطفه وتتأثر أحاسيسه ويهتز كيانه و تأخذ ملامح هذا الانفعال و التأثر تبدو على أعماله و سلوكه و اتجاهاته .

وهذه الحالة تشترك فيها جميع المجتمعات، من مجتمعات أمية جاهلة بعيدة عن التعليم و التربية إلى مجتمعات متطورة حديثة و متمدينة على السواء ، إنما الفرق بينهما أن المجتمعات المتخلفة فى مجال العلوم يكون ذلك فيها بادياً مكشوفاً والمجتمعات الراقية والمتحضرة إن لم يكن ذلك فيها ظاهراً منكشفاً يظهر تحت الغطاء محبوساً ومتكتماً حتى فى المجتمعات التى دأبت على العمل للقضاء على تأثيرها بطرق مختلفة بقيت آثارها كالجذور المنبثة المترامية فى الأغوار، وما أن وجدت من يقوم عليها وينتصر لها ، عادت إليها الحياة مرة ثانية ، وبقاء آثارها على ما كانت ، فى النظام الشيوعى الماركسى بروسيا ، أكبر دليل على ذلك ، حيث استخدمت جميع الوسائل لتصفية نفوذها من جميع الأقسام و الدوائر ، و انتهت روسيا أخيراً إلى السماح للدين بممارسة أعماله و نفوذه ولو فى إطار محدود .

الدين قوة عظيمة :

الدين قوة باهرة ذات شأن عظيم لها دور كبير فى إيجاد المعتقدات و النظريات فى جانب، وتنشئ فى الناس أفراداً و جماعات شهامة و عزيمة و تنفخ فيهم روح

الحياة وتستنهض هممهم فى جانب آخر، بل و ربما تحثهم على إنجاز أعمال جسام يستحيل تحقيقها بوسائل أخرى، ذلك لأن الدين يحوى تعاليم سامية تتضمن عناصر جذرية تساند قوى الانسان الروحية و العاطفية كليهما ، و تبعث فى عزائمه روح الأمل و الحياة ، و فى بعض الأحيان تحرضه على تقديم تضحيات ضخمة يصعب فهمها و لا تخطر على بال عادة .

و لقد سجل التاريخ نماذج خالدة رائعة لتأثيرات قوية و مفعول بعيد عميق للديانة ، و تشهد صحفات التاريخ بذلك بل الأوفق و الصواب أن الديانة قبل نجاح الفلسفات الحديثة الالحادية و الطاغية المتطرفة فى أوربا، لم تكن فى العالم سياسة لتفعل مفعولها و لا حكومة لتسير سوية ولا قضايا اجتماعية لتتم ولا جهود تربوية أو إصلاحية لتحقق أهدافها بدون اللجوء و الانتماء إليها، بل وإن السلاطين لكانوا يمدون إليها يد المساعدة و التأييد إشفاقاً على سلطتهم و بقاءاً على الحكم .

الصراع بين الدين و العلم :

كان منطلق الصراع بين العلم و الدين عند ما شهدت أوربا ثورة علمية وصناعية عنيفة، ونتيجة لبعض الأخطاء التى صدرت من حاملى لواء الديانة المسيحية و قلة وعيهم ظهرت نظرية فصل الدين عن الدولة و تم عمل تطبيقها ، و لكن كانت الحاجة متداعية لهضم قوة الدين أو تخديرها إلى قوة تقريبية أو نسبية إن لم تكن مماثلة متبادلة ، فاتخذ دعاة هذه النظرية القومية أساساً لخدمة أغراضهم .

إن هذه القومية التى كانت تعمل فى الحقيقة تبعاً للدين أصبحت خصماً له منذ ذلك الحين فمسته بالسوء وألحقت به ضرراً كبيراً، ورغماً من ذلك كله فانها لم تظفر أبداً بالقضاء عليه، ولا ينفك هذا الصراع قائماً على قدم وساق فى أكثر بقاع العالم بين الدين و القومية الناشزة الممتعضة من الدين .

العواطف القومية و العصبية :

فى الوقت الذى يقوم الدين بوصل أتباعه بخالقهم و ربهم و يضرب من قلوب الناس على أوتار الوجدان و يدق على المشاعر التى تستعد للخوف و يكمن فيها الشعور بعظمة القوة الخفية ، تؤدى القومية وظيفتها باثارة العواطف المشتركة من الوطنية و الثقافية والعنصرية فى أصحابها ، وإن هذه العواطف يحملها الانسان فى نفسه طبيعياً و تخالطه لحماً و دماً و تؤثر إذا حركت و انتعشت ، فان الانسان يتعلق من قلبه بكل ما يمت إليه بصلة من جنس الأفراد أو المادة ، و هذه العلاقة الباطنية إذا قويت و اشتدت تتحول و تبدو فى صورة العصبية ، و هذه العصبية جزء من طبيعة الانسان وطينته لايتجزأ ، إذا صادفت طريقها إلى الدين تسير معه ، أو منفذاً إلى القومية فتعمل عن طريقها .

الايثار و التعفف فى الدين :

و لما أن الدين يصل بالانسان إلى الانتماء و الارتباط بقوة سامية و طاقة عليا فالانسان بتأثيره و سيطرته عليه يتخلى عن أهوائه النفسية وأغراضه الشخصية و يضحى بمصالحه الذاتية لارضائها و يقدم للخدمات المخلصة و الايثار و التفانى أروع مثال ويمحض الحب لها والرحمة معها لخدمة القيم والأقدار السامية ، ويكون بذلك عوناً فى مجال الرقى و الازدهار ، وأداة فعالة لخلود أى مجتمع و بقاء ذكره و تطوره ، و هذه القيم و الأقدار إذا نالت و لوفى أى مجتمع القبول و الرواج يعتبر مجتمعاً سعيداً بهيجاً يضرب به المثل فى تضافر الأمن و الهـدوء و تحالف الانتصار و النجاح فى كل ميدان .

الأثرة و الأنانية و التمزق من طبيعة القومية :

أما القومية فهى على العكس من ذلك ترتكز على أساس الأثرة والأغراض

فانها لاتنظر إلا إلى مصالحها الشخصية ومنافعها الذاتية ، وكل ما تتعلق به فوائدها خالصة لها فحسب ، ولا يستبعد أن تصطدم هذه المصالح كثيراً من الأحيان مع مصالح الآخرين و ثمرات جهودهم أو ما يتعلق بهم من الأشياء ، وليس فيها لسمو النظر و التفكير المحايد نصيب ، كما أنها لا تعرف الايثار ، و لا تشجع العواطف على الثقة والاعتماد ، بل يتمزق بها شمل الانسانية وتصبح فرقاً شتى تتوزعها العواطف الصغيرة والكبيرة ، وبالتالى تتحول الطوائف الكبيرة إلى عدد من الفئات القليلة ، وإذا لم يستطع منع هذا السيل الجارف من التقسيم والتبديد سد من قوة الدين ، فلا محالة من اللجوء إلى استخدام وسائل القسر و الكبت و القوى المقتولة .

أينما أسست النظم الحديثة فى هذا العصر على أساس نظرة القومية المجردة لو ترك حبلها على غاربها ومنحت نظريتها هذه حرية كاملة ، لانقسمت كل قومية إلى عشرات من القوميات ، ويظهر هذا الانقسام فى صور وأشكال متنوعة وأسس مختلفة ، فى بعض البلاد يشاهد ذلك على أساس اللغـة و الأخرى على أساس العنصرية ، وفى صقع على النظم الاقتصادية وفى بقعة أخرى على الأسس السياسية أو ما إلى ذلك من أنواع التوزع و الشتات على اختلاف الأسس و النظم ، لأن كل نظرية من هذه النظريات تحمل صلاحية كاملة لتشكل أساساً للتشعب و التأقلم القومى ، و كأين من دولة فى العالم المعاصر تطبق قوميتها نظماً على نفس هذه الأسس و المبادىء .

علم الأحياء و القرآن الكريم

(الحلقة الثانية)

فضيلة الأستاذ السيد شهاب الدين الندوى

مدير الاكادمية الفرقانية (بنغلور)

ترجمة : إبراهيم الندوى

عصارة القول أن الله سبحانه وتعالى لم يكن له شريك أو ند فى القديم ولن يكون فى المستقبل إلى أبد الآباد، وبأسلوب آخر : لن يستوى الخالق والمخلوق، الخالق هو الخالق بكمال صفاته وجلالة شأنه والمخلوق له ما أودع الله له، لا يسعه أن يكون خالقاً أو يبلغ حدا أدنى من صفة الخلق و إن قطع أشواطاً بعيدة أو بلغ ذروة الكمال من التقدم و التطور والرقى ، و هذا الكون بجميع ما فيه ، خالقه واحد ، وسيبقى دوماً متفرداً بصفاته وحده و هذا هو السر البلاغى فى قوله تعالى « سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى » استمرارية الخلق لأنواع الأحياء بدون أى انقطاع و ظهور أنواع من الأفراد بجميع خصائصها المتضاربة و المتباينة على وجه البسيطة بصورة الدوام ما ذلك إلا نظاماً مدهشاً للغاية لا يتصور وجوده أبداً إلا بذات عليا قديرة خلاقة .

و فى الفقرات و الكلمات التالية بين الله سبحانه بعض خصائصه و مميزاته فى صفة الخلق التى هى بمثابة دلائل و براهين دامغة ضد الشرك و الاستسلام للظاهر وضد الالحاد و المادية المفحشة ، و التى تسد منافذ الضلالات الفكرية .

و الحق أن هذا الكون يبدو فيه الانسان فى اعتبارين مختلفين فتارة يبدو مخيراً مستقلا بذاته و أخرى مضطراً عاجزاً ، يسخر القمر و النجوم و يجعل من الأفلاك ممراً لنفسه فى جهة و لا يستطيع أن يخلق شيئاً حقيراً تافهاً حتى الذباب

و البعوضة فى جهة أخرى ، بل إنه لعاجز عن إدراك ماهية لوحدة الحياة وفهم حقيقتها كأنه جاهل عن أوليات الخلق ويرى غريباً غراً فى هذا الميدان .

نظام التسوية : قال تعالى : « الذى خلق فسوى » معنى التسوية هو تصويب الشيئ و تمهيده و تهذيبه وتقويم الاعوجاج منه و ما إلى ذلك ، و فى القاموس المحيط : سواه تسوية و أسواه جعله سوياً (١) .

والتسوية ما خوذة من (س و ى) الذى يطلق على كمال الاستقامة فى الجسم و الاعتدال وتعرى الشئ عن كل إفراط و تفريط و وقوعه فى الوسط كما يقال « مكان سوى » (٢) « مكان سواء أى متوسط بين المكانين » (٣) « و مكان سوى، سوى بكسر السين وضمها وسواء أى عدل و وسط فيها بين الفريقين» (٤) « استوى الشئ اعتدل » (٥) و رجل سوى استوت أخلاقه و خلقته عن الافراط والتفريط » (٦) وكذلك « غلام سوى للطفل الذى استقام جسمه واكتملت بنيته لا عيب فيه و لا داء » (٧) و « سواء الجبل ذروته و سواء النهار منتصفه وليلة السواء ليلة أربع عشرة » (٨) .

وكلمة التسوية تصلح لأن تتضمن جميع هذه المعانى التى تقدمت لأن تعدية الفعل الثلاثى المزيد فيه تنتقل من الفعل الثلاثى المجرد بموجب القاعدة الصرفية ، و من خواص باب التفعيل أن يدل على التكثير والمبالغة أيضاً وذلك فوق التعدية ، و معنى التكثير و المبالغة هو الزيادة فى المعنى المصدرى كما من جال جول و من طاف طوف بالواو المشددة فى كليهما ، و يستعملان للدلالة على الكثرة فى التجوال و التطواف .

(١) لمجد الدين الفيروز آبادى ٤ / ٣٤٥ ط مصر ١٩١٣م . (٢) المرجع السابق .
(٣) لسان العرب ١٤ / ٤١٢ . (٤) المرجع السابق ١٤ / ٤١٤ .
(٥) أيضاً . (٦) مفردات القرآن ص ٢٥٢ .
(٧) المنجد بيروت ١٩٥٦م . (٨) لسان العرب ١٤ / ٤١٦ .

فالذى استخلصناه من هذا البحث أن معنى التسوية هو الاستقامة فى الجسم من كل ناحية و الاعتدال التام و البراءة من كل عيب ونقص لا أن تكون إحدى اليدين ثمانى عشرة بوصة و الثانية منهما خمساً و عشرين بوصة أو إحدى العينين قرصاً صغيراً و الأخرى كرة كبيرة ، وعظـــم فى الجسد قصيرةٌ و العظام الأخرى طويلة ، بل وكل خلية من أعضاء الانسان تكون متساوية متناسبة معتدلة فيما بينها بصورة تثير الحيرة و الاستعجاب ، و من نوع التناسب و الاعتدال أن أعضاء الجسم كلها و نظام تكوينها يوجد فيها توافق كامل و انسجام تام من حيث العموم، و من هذه النظرة أيضاً يثبت وجود خلاق حفيظ رقيب على العالم كله ، و إن علوم الطب و الطبيعة تعجز عن شرح هذه الكلمة شرحاً وافياً محيطاً .

تقدم فى سابق ما قلنا أن ثمانى مأة ألف فصيلة تعيش فى عالم الحيوان تضم من بين حى ذى خلية واحدة (Protozoa) و (Protofita) إلى فيل ضخم الجثة و أكبر حوت وهيل (Whale) و كل من هذه الأنواع بنيتها و خلقتها و نظام جسمها المعقد يدل على دقة بالغة من الصناعـــة و عبقرية آخذة فى آخر نقطة من الفن ، كما أن كل ذلك يدل على نظام بديع مدهش ، و أنواع الأحياء هذه تعد بما يختلف نظام بنيتها بعضها عن البعض الآخر من غرائب دنيا الحيوان ، لا تتضح باستقرائها حقيقة نظام التسوية فقط بل و تنفتح آفاق بعيدة لرحمانية الله تعالى و ربوبية الخلاق العليم .

(الذى خلق فسوى) « مخلوقه ، جعله متناسب الأجزاء غير متفاوت » (١) « أى جعله متساوياً و هو أصل معناه ، و المراد فجعل خلقه كما تقتضيه حكمتـــه سبحانه فى ذاته و صفاته ، و فى معناه ما قيل : أى فجعل الأشياء سواء فى باب الأحكام و الاتقان و لا أنه سبحانه أتقن بعضاً دون بعض » (٢) .

(١) تفسير الجلالين ٢/٢٥٩ ط مصر ١٣٤٦هـ .
(٢) روح المعانى ٣٠ / ١٠٤ ط بيروت .

وقد أجاد الشيخ الطنطاوى فى تفسير هذه الآيات فى ضوء الحقائق الطبيعية التى وصل إليها العلم الحديث و أثار جوانب عديدة من هذا الباب بأسلوب توضيحى رشيق ، فقال ما مؤداه .

« الذى خلق فسوى ، أى خلق كل شئ وسوى خلقته و لم يجعل مخلوقاته متفاوتة متباينة الأعضاء بل راعى فى خلقها بوصفه عليماً خبيراً غاية الدقة والبراعة من التناسق و الاستحكام ولو لم يكن ذاك لم نشاهد فى هذه الخلائق الحكم التالية .

١— إنه جعل جمال الوجه فى هذه الأربعة من الأعضاء الفم و الأنف والعينين ، فان تناسبت هذه الأعضاء حصل الجمال و بدون ذلك تبدو الدمامة .

٢— و جعل جمال الباطن فى أربعة أشياء وهى الحكمة والعفة والشجاعة والعدل فاذا استوفيت هذه الخصال الأربعة فى انسان عد كريم الأخلاق و جميلها و إذا انعدمت كان سيئ الأخلاق و قبيحها .

٣— انظر كيف صنع عظام الأصابع دقيقة بحيث تكون فى كل أصبع من الأصابع ثلاثة أنامل ، و قد ركبت بدقة تامة و بذلك يمكن الاستمساك بالأدوات الصناعية و الزراعية و الآلات الحربية .

٤— جعل الأظفار لصيانة أطراف البنان كما يسهل بها التقاط الأشياء المرمية الساقطة

٥— أنبت القطن نافعاً ليتخذ منه الانسان ملابسه و خلق من الطيور ما يلقط الحشرات الضارة غذاء لها من الأشجار والنبات والزروع التى توفر للانسان رزقه .

٦— وكذلك أودع فى داخل جسم النبات باختلاف عناصره فوائد جمة للانسان فمثلا جعل فى عروق القطن كلورين (Chlorine) بنسبة ٣٧ ، ٦٪ و فى الشعير ٣٠ و فى الباقلى ٤ ، ١٪ و فى البطاطش ٢ ، ٢٪ و فى قصب السكر ١٠ ، ٨٪ و فى البرسيم (نوع من الكلأ) ٩ ، ١٣٪ فليلاحظ فى حكمة الخالق العلام أنه لو لم يودع هذه الخصائص فى طبائع هـــذه النباتات بهذا المعدل المناسب الحكيم لم توجد هذه المنافع فيها كما أن العظام

فى اليد لو لم تكن متناسبة متناسقة وبنظام صحيح لم تظهر فوائدها المرجوة ، فكذلك لو لم تسو عناصر النبات و لم تخلق بمشروع حكيم محدد اضطرب نظامها و ذهبت فوائدها (١) .

واكتفى الشيخ الطنطاوى الجوهرى فى هذا البحث بالاشارة إلى بعض الخصائص محصورة فى الانسان و النبات فقط و فى نهاية من الايجاز و إلا فهذه و شرحها و تفسيرها بالاستيعاب و التفصيل يتضمن علم الأحياء بجوانبه و علوم الطبيعة بفروعها و ما يتصل بها من مباحث مثيرة للعجب ، و فيما مضى ذكرنا أن الخلق و التسوية كما يصح إطلاقهما على جنس الحيوان و النبات بأنواعهما يصح كذلك أن يطلقا حسب المصطلحات المستحدثة على جميع الموجودات مادية كانت أوغيرها مثل الحرارة و النور و الصوت و الطاقة الكهربائية و القوة المغناطيسية حتى يشمل عموم الألفاظ الذرة و الطاقة الذرية و ما فى معناهما .

قال تعالى: (إنا كل شئ خلقناه بقدر) سورة القمر الآية ٤٩ (وكل شئ عنده بمقدار) سورة الرعد الآية ٨ و لكنى - لما أن الموضوع الذى اخترته لا يتعلق إلا بعلم الأحياء- أخصه وما يمت إليه بصلة بالذكر بدون أن أتعرض لما سواه ، وكما اتضح فى سالف المقتبسات من كتب التفسير المختلفة أن ثروتنا الثرة فى بطون كتب التفسير لا تخلو من نكات مفيدة من حيث المبادىء و الأصول و الحقائق الثابتة التى إن أردنا جعلناها أساساً لتقديم المزيد من الشرح و التفصيل فى ضوء العلوم الحديثة بعد الاستفادة منها ، و بذلك نحصن أنفسنا من تهمة الانحراف والتحريف و الابتعاد عن منهج السلف الصالح و الدرب الذى سار عليه علماؤنا (٢) .

(١) للمزيد يرجع إلى تفسير الجواهر ٢٥/ ١١٢ - ١١٣ ط مصر ١٣٥١هـ .

(٢) لو أجرينا الفحص الدقيق لثروتنا التفسيرية وجدنا فى أقوال أسلافنا ما يؤيد مطالبنا وملنا بغيتنا ونكات عامة مفيدة ، ولم تبق لنا الحاجة إلى الاختلاف معهم ، ففى العصور الغابرة لم تطور العلوم ولم يكن تحقيقها وتدوينها ★

فقد ذكر صاحب (١) تفسير الكبير فى هذا الصدد ثلاثة أقوال فقال : « قوله خلق فسوى » يحتمل أن يريد به الناس خاصة ويحتمل أن يريد الحيوان و يحتمل أن يريد كل شئ خلقه ، فمن حمله على الانسان جعل للتسوية وجوها ، أحدها أنه جعل قامته مستوية معتدلة و خلقته حسنة على ما قال « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم» ، و أما من حمله على جميع الحيوانات فقال: المراد أنه أعطى كل حيوان ما يحتاج إليه من أعضاء و آلات و حواس ، وأما من حمله على جميع المخلوقات و الموجودات قال: المراد من التسوية هو أنه تعالى قادر على كل الممكنات ، عالم بجميع المعلومات ، خلق ما أراد على وفق ما أراد موصوفاً بوصف الأحكام و الاتقان مبرءاً عن الفسخ و الاضطراب (٢) .

فعلى مدلول القول الثانى ينحصر نطاق التسوية فى علم الأحياء طبقاً لعلوم الطبيعة الحديثة .

و بمدلول القول الأول يكون ذاك فرعاً من علم الأحياء .

★ فى شكل نراه اليوم ، ولذاك ما خاض المفسرون بحوثاً مسهبة فى ذلك و إلا ما كان الامام الرازى ليترك ذاك إلا و قد ضمن تفسيره جميع هذه المباحث و العلوم .

(١) أى مكمل تفسير الكبير و لم يعرف اسمه ، و على ما حققه العلامة شبلى النعمانى أن الامام الرازى كتب إلى سورة الفتح و بقى ناقصاً إلى أن جاء من أكمله بتفسير بقية السور فى أسلوب الامام الرازى و طريقته من بعد سورة الفتح دون أن يشهر إسمه ، يرجع للتفصيل مقالات شبلى ٤/ ٤٣ - ٤٤ الطبعة الثالثة ١٩٥٦م .

(٢) تفسير الكبير ٨/ ٣٨٩ - ٣٨٠ .

و على القول الثالث يكون نطاقها محيطاً شاملا لعلوم الطبيعة كلها (١) .

قال العلامة شهاب الدين الآلوسى « و لعل ما فى سائر الأقوال من باب التمثيل و التخصيص (٢) .

وعلى كل فان الحاجة أكيدة إلى إفاضة ما ذكره المفسرون إجمالا فى ضوء حقائق العلوم الحديثة والدراسات الجديدة إفاضة لا تترك غموضاً و لا إبهاما حتى تتضح الدلائل وتسطع البراهين التى أوردها القرآن، ويبدو للعيون جليا ما يتضمنه القرآن من المعجزات العلمية .

و بحثنا لا يتعرض فى هذه المناسبة لتطور النظريات العلمية ، لأن المقصود هنا تقديم الرموز و الاشارات القرآنية فى صورة العناوين، وبالتالى عرض العلوم الحديثة و المعارف و المفاهيم الجديدة مفصلة من خلال شرحها و توضيحها، وإن هذه المباحث و العلوم و بتعبير أصح وأدق تطور النظريات و الآراء لهذه العلوم لا يؤثر مطلقاً على حقائق القرآن ، ثم إن التطور أو التغير فى النظريات لا فى أصل العلوم و طبيعتها و مباحثها المبدئية (٣) قال تعالى « الر ، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (٤) .

---

(١) على سبيل المثال علم الفيزيا و الكيمياء وعلم الأحياء و الأرض والفلك ، يندرج تحت هذه العلوم كل شئ يوجد فيما بين السماء و الأرض من ذرة إلى تقويم شمسى و جميع ظواهر الكون و خصائصها الطبيعية .

(٢) روح المعانى ٣٠/ ١٠٤ .

(٣) و قد فصلت القول على ذلك فى كتابى الجديد (غير مطبوع) « وجود الرب و شواهد القيامة فى عالم النبات » .

(٤) سورة هود الآية ١ .

ترجمات معانى القرآن الكريم و مذاهب المنحرفين فى الترجمة و التفسير

— ٢ —

الدكتور عبد الله عباس الندوى
المستشار التعليمى لدار العلوم ندوة العلماء لكناؤ

٤- الترجمة التفسيرية :

قد اتضح فيما أسلفت معنى الترجمة التفسيرية، و قد اتفق علماء الأمة عملا على جواز الترجمة التفسيرية ، يقول الامام ابن تيمية رحمه الله (م٧٢٨هـ) بعد ما ذكر الحديث المروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه « فيه نبأ ما قبلكم و خبر ما بعدكم » الخ .

« و ذلك يترجم القرآن من يحتاج إلى تفهمه إياه بالترجمة، و كذلك يقرأ المسلم ما يحتاج إليه من كتب الأمم و كلامهم بلغتهم ، و يترجم بالعربية ، كما أمر النبى ﷺ زيد بن ثابت (م سنة ٤٥) أن يتعلم كتاب اليهود ليقرأ له و يكتب له ذلك حيث لم يأتمن اليهود عليه » .

و يقصد الامام ابن تيمية رحمه الله « من ترجمة القرآن الترجمة التفسيرية » كما وضع علامة الشام الشيخ بهجة البيطار رحمه الله عنوان هذا القول « الترجمة التفسيرية للقرآن » (١) نقل الدكتور أحمد ابراهيم مهنا فى « دراسة حول ترجمة

---

(١) حياة شيخ الاسلام ابن تيمية للشيخ محمد بهجة البيطار - الطبعة الثانية دمشق ١٣٩٢هـ - ص ٢ و ١ طبع مصر .

القرآن الكريم » (١) وقد نقلنا عن أستاذنا الشيخ محمد شاكر - وهو الذى طلب كل مسلم بأن يعاهد الله على أن يعدم أى ترجمة للقرآن يقع فى يده - قوله :

.. أجمع فقهاء الاسلام و أئمة الدين المجتهدون على جواز تفسير القرآن باللغة العربية و بأية لغة من اللغات الأعجمية .

و نقلنا عن أستاذنا الشيخ حسنين محمد مخلوف قوله :

« الترجمة التفسيرية جائزة قطعاً ، و هى ترجمة للتفسير لا للقرآن » .

(انتهى كلام د/ مهنا)

و خلاصة البحث أن ترجمة القرآن بغير المثل ، أو الترجمة التفسيرية جائزة عند العلماء ، و هنا يتضح الفرق بين مصطلح ترجمة القرآن - أى الترجمة الحرفية التى هى محظورة ممقوتة ، و ترجمة معانى القرآن الكريم - أى تفسير القرآن بلغة عربية - و هى جائزة جوازاً قطعياً كما يقول فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية الأسبق .

و لكن هذا لا يعنى أن الترجمة التفسيرية أو الترجمة بالمثل بعيدة من المخاطر ، فقد كتب كثير من أهل البدع و الكفر و الخرافات ترجمات و تفاسير لنشر نظرياتهم الخاصة و مما يخاف فى هذا الصدد :

أولا : أن الترجمة التفسيرية أو تفسير القرآن الكريم بغير لغته يجعل القارىء لا يعبأ بالنص القرآنى بينما النص فى حد ذاته يحمل قيمة روحية ، له نفوذ فى العقل البشرى ، و تأثير فى القلوب .

و لنقرأ مثلا هذه الآية الكريمة :

(١) و الكتاب الذى أشار إليه الشيخ محمد بهجة البيطار للامام ابن تيمية هو « بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » .

«كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظوراً»(١).

و لننظر كيف يرتاح القلب وتهتز المشاعر وتطمئن النفس عند تلاوة هذه الآية وإلى هذا النغم السماوى الساحر ثم ننظر إلى الترجمة التفسيرية.

To. ach - These and Those - We extend of the bestowment of thy Lord and bestowment of thy Lord is never restrained.

تجد أنه بيان لا روح فيه و لا طراوة . كلام عادى ، تعبير بسيط عن واقع الحياة .

ثانياً : تفسير القرآن بغير لغته حسب ما نسميه الترجمة التفسيرية ، يترك المجال للمترجم أن يترجم نظرياته الخاصة باسم القرآن ، و يجعل القرآن مطية لبيان أفكاره و نظرياته الخاصة به . كما وصفهم الامام ابن تيمية رحمه الله ، : قوم اعتقدوا معانى ثم حملوا ألفاظ القرآن عليها (٢) ، وتكفى الاشارة إلى تفاسير الصوفية و الشيعة و القاديانية و تصرفاتهم فى الترجمات و التفاسير .

ثالثاً : إن المستشرقين الذين نظروا إلى القرآن كمجموعة من الأحاديث والقصص وضعها الرسول ﷺ (٣) أخذوا بتأويل كل آية تعطى فكرة عن رسالة الاسلام على أنها موجهة إلى الانسانية جمعاء - و مثال ذلك أن جورج سيل المترجم المعروف يترجم خطاب القرآن « يا أيها الناس » (٤) ،

(١) الاسراء ١٩ .

(٢) مقدمة أصول التفسير لابن تيمية ، الكويت (١٣٩١هـ) .

(٣) ترجم السيد وليم مور بعض السور إلى الانجليزية و أسماه - The Speaches « and Table Talk of Mohammad - أى كلمات وأحاديث متنوعة لمحمد .

(٤) يا أهل مكة .

O People of Mecca و يزعم أن محمداً (ﷺ) كان يريد إصلاح بنى جلدته و تقدمهم اقتصادياً و سياسياً ولم يقصد إلى مخاطبة البشر كله ، ونسى جورج سيل أو تناسى أن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، و أنه وجه رسالته إلى العالم كله فى آية :

« و ما أرسلنا إلا كافة للناس بشيراً و نذيراً و لكن أكثر الناس لا يعلمون » (السبأ ٢٨) وعلى الرغم أن سورة البقرة مدنية النزول بلا خلاف كما أكد ذلك ابن كثير (م ٧٧٤) فى تفسيره و سورة سبأ مكية ، و جورج سيل يزعم أن محمداً ﷺ لم يك يفكر فى توجيه رسالته خارج قبيلته .

رابعاً : نظراً إلى أن المفسرين القدامى مثل الرازى و البغوى و ابن كثير اعتادوا أن يذكروا فى تفاسيرهم جميع ما وصل إليهم من أقوال عامة و شاذة و يذكرون الآراء الشاذة بقولهم التقليدى « قيل » « و هذا » « القيل » يصبح سنداً قوياً لمن يريد تحريف معانى القرآن ، و هو يستند إليه فى تفسيره و يشير إلى تلك المراجع كأمر معترف به ، و مثال ذلك أن البيضاوى ذكر من بين الأقوال العديدة فى تفسير كلمة « العالمين » أنه قيل معناه : عالم الأنس و عالم الجن وعالم الملائكة ، فتشبث به كل من جورج سيل و سير ريتشرد برطن » .

و ترجم أول آية من القرآن (الحمد لله رب العالمين) على النحو التالى :

Praise be to Alloh, Who the Three worlds made.

أى « ليكن الحمد لله الذى خلق العوالم الثلاثة (أى عالم الأنس و الجن و الدواب) .

و عدله جورج سيل على النحو التالى :

Praise be to God. The Lord of all creatures.

أى « ليكن الحمد لله رب الخلق كله » .

و لاشك أن القصد من وراء هذه الترجمة المنحرفة هو إعطاء فكرة خاطئة وهى أن رسالة الاسلام كانت محلية ومؤقتة و « أنى لابن البادية أن يتصور ويحلم أن هناك عالماً غير ما يعيشه وتعيش دوابه بقول برطن سل (١) فى كتابه المختارات القرآنية طبع لندن عام ١٨٤٣) .

و هذا غير مستغرب من الذين لم يملكوا إخفاء ما فى صدورهم من حقد وكراهية ضد الاسلام ، و لكننا نرى أنه كل من أراد أن يفسر القرآن حسب مرئياته يجد سنداً من الأقوال الشاذة فى كتب التفسير و الأحاديث الضعيفة و الموضوعة .

خامساً : هكذا نجد أن القواميس و المعاجم توفر مادة و سنداً لبيان الآراء الشاذة و المعانى المستبعدة ، و مثال ذلك كلمة « الابل » فى الآية (أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت) فقد ترجم ظفر الله خان « بالسحاب » و أغرب من هذا أن الأستاذ محمد أسد الذى يعرف العربية أكثر من معاصريه ممن ترجموا القرآن مال إلى هذه الترجمة مستنداً إلى لسان العرب و المعاجم الأخرى ، و بعد مراجعة الأصل ظهر لى أن أصحاب القواميس يذكرون كل ما وصل إليهم ولو من فرد واحد ، و لكنهم يبدأون بالمعنى المتواتر الأصل ، ثم يردفون بأقوال شاذة . فلاشك أن ابن المنظور ذكر من بين معانى « الابل » السحاب ، و لكنه لم يذكر هذا إلا بعد إيراد المعانى المعلومة .

(1) ertrand Russell The selected works of the Korain, London 1843.

ففى ضوء ما ذكرت من الآثار السيئة لتفسير القرآن بغير لغته أو الترجمة التفسيرية ، أرى أن ترجمة معانى القرآن بهذه الطريقة لا يخلو من خلل ، و فيه إطلاق الحرية لكل من شاء أن يعرب عن مرئياته و آرائه . و الترجمة التفسيرية يجعل القرآن مثل ترجمات الأناجيل حيث لا يعرف الدارس اليوم ما هو مقدار الأصل من بين أقوال الشارحين .

و من حق القارىء أن يتساءل فى هذه المرحلة : مادامت الترجمة اللفظية مرفوضة بمقوتة ، و الترجمة التفسيرية لا تخلو من خطر ، فما هى الطريقة الصائبة لإبلاغ كلام الله إلى غير الناطقين بالعربية ؟ .

قد أجاب على هذا السؤال الامام ابن تيمية رحمه الله ، وأصاب إذ قال : « فان قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب : إن أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن : فما أجمل فى مكان فانه قد فسره فى موضع آخر ، و ما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر » .

فان أعياك ذلك فعليك بالسنة ، فانها شارحة للقرآن و موضحة له ، بل قد قال الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعى : كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن ، قال الله تعالى : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله و لا تكن للخائنين خصيماً) (١) و قال تعالى (و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلهم يتفكرون) (٢) و قال تعالى (و ما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه و هدى ورحمة لقوم يؤمنون) (٣) ولهذا قال رسول الله (ﷺ) (ألا إنى أوتيت القرآن

(١) النساء : ١٠٥ .
(٢) النحل : ٤٤ .
(٣) النحل : ٦٤ .

ومثله معه (١) يعنى السنة ، والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحى كما ينزل القرآن ، إلا أنها لا تتلى كما يتلى ، و قد استدل الامام الشافعى و غيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ، ليس هذا موضع ذلك .

و الغرض : أنك تتطلب تفسير القرآن منه ، فان لم تجده فمن السنة كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : بم تحكم ، قال : بكتاب الله ، قال : فان لم تجد ، قال : بسنة رسول الله قال : فان لم تجد ؟ قال أجتهد رائى ، قال : فضرب رسول الله ﷺ فى صدره و قال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله ، و هذا الحديث فى المسانيد و السنن بأسناد جيدة (٢) (انتهى كلام الامام ابن تيمية رحمه الله) .

و من المعلوم بالبداهة أنه لا يمكن تفسير القرآن بالعربية و لا بغير العربية إلا عن طريق الأحاديث النبوية و ما يصح بالتفسير يصح بالترجمة التفسيرية ، و لكنه قد انبرى من بين المترجمين أناس يؤمنون بفصل القرآن عن السنة ، وحجتهم أن القرآن الكريم ينص (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) (٣) و لم يقل الله سبحانه و تعالى ، إن القرآن و السنة يهديان للتى هى أقوم ، (٤) وظنوا أن السنة لم تصلنا بالتواتر و الصحة مثل القرآن : و ليس كل ما ينسب

(١) أخرجه أبو داؤد من حديث المقدام بن معديكرب الكندى مرفوعاً ، « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه » راجع تخريج هذا الحديث الدكتور عدنان زرزور على هامش مقدمة أصول التفسير لابن تيمية ٩٤ .
(٢) مقدمة أصول التفسير لابن تيمية طبع دار القلم الكويت ٩٣ ، ٩٤ .
(٣) الاسراء الآية ٩ .
(٤) هكذا ورد فى التفسير المزعوم لغلام برويز ج ١ ص ٨ .

إليه السنة ، وهذا الزعم مرفوض من عدة نواح ، الأهم منها ما ذكره شيخ الاسلام الامام ابن تيمية رحمه الله ، وأقول لرد مزاعمهم أن المستغنى عن السنة لا يستطيع فهم كثير من الآيات التى فيها إجمال ، و إشارة ، و بيان لما هو معلوم بالسنة ، و إليك أيها القارىء بعض الأمثلة من كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه .

قال الله تعالى :

١ — (إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) (١) .

من يستطيع أن يعين مراجع الضمائر فى هذه الآية الكريمة بدون اللجوء إلى الأحاديث الشريفة ؟

٢ — قال الله سبحانه و تعالى :

« و إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم و تودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » إن الله لم يذكر فى هذه الآية و لا فى آية أخرى ما هو المقصود من الطائفتين و ما هما ؟ و أيهما كانت غير ذات الشوكة و ما المراد من « ذات الشوكة و غير ذات الشوكة » أليس من المستحيل أن يدرك أحد المدلول الكامل لهذه الآية الكريمة و هو جاهل عن الآثار و السنن ؟ .

٣ — جاء فى الذكر الحكيم :

« و على الثلاثة الذين خلفوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » (٢)

فمن كان هؤلاء الثلاثة يا ترى ، هل ورد فى القرآن قصة وقعة تبوك ، و قصة كعب بن مالك و هلال بن أبى أمية و مرارة بن الربيع ؟

(١) سورة التوبة الآية ٤٠ .

(٢) سورة التوبة الآية ١١٨ .

٤ — و يقول سبحانه و تعالى :

« و الذين اتخذوا مسجداً ضراراً و كفراً و تفريقاً بين المؤمنين و إرصاداً لمن حارب الله » .

فلم يذكر القرآن الكريم قصة أبى عامر الراهب الذى كان قد تنصر فى الجاهلية و قرأ علم أهل الكتاب ثم بارز بعداوة الرسول والمسلمين و أقام مسجداً للتفريق بين المسلمين ، و لا يمكن فهم مغزى الآية و المشار إليهم فى الآية « والذين اتخذوا الخ » إلا باستعانة الحديث النبوى ، و الترجمة الحرفية غير قادرة على إعطاء صورة كاملة للقصة حتى يفهم القارىء سبب الردع وخطورة الوضع .

و لنقتصر على هذه الأمثلة الثلاث و نرى جوانب أخرى يتعرض لها المترجمون الذين أرادوا إيفاء المدلول الكامل لكل كلمة من كلمات القرآن الكريم و قد وجدوا صعوبة فى اختيار الكلمات المترادفة فى لغاتهم التى ترجموا إليها ، و قد وجدت عجز المترجمين فى اللغات الهندية و الفارسية عن بحث كلمات تستوفى جميع المعانى التى توحى كلمة قرآنية أو تعبير عربى يخص القرآن الكريم ، كما توجد نفس الصعوبة عند المترجمين للقرآن الكريم فى اللغات الأوروبية .

مخالفة التدقيق فى الترجمة :

يعلم من درس قواعد اللغة الانجليزية أنها تحوى ضمائر منفصلة للفاعل و المفعول ، و المفرد و الجمع ، و تستعمل فى الشعر لزوماً و فى الوثائق القانونية و الصكوك و أحكام القضاء و فى كل ما يتطلب الجد و الأهمية لرفع الالتباس و لتحرى الدقة (accuracy) و فيما عدا ذلك ، فقد تركوا استعمال الضمائر المنفصلة ، و اكتفوا بضمير المخاطب (جمعاً) You للفاعل و المفعول ، فلا فرق عندهم بين « جئت جئتم و جاءك ، و جاءكم ، فالضمير You يستخدم للمخاطب و المخاطبين ، و لكن فيما يتطلب الجد و الاهتمام فانهم يفرقون كل التفريق ، للفاعل المفرد thou ، و للمفعول المفرد thee ، و للجمع Ye ، و You و الفعل الناقص wast ، و التام art للفرد ، و were و are للجمع .

و نظراً إلى أن الانجيل كتاب مقدس للنصارى يستحق كل اهتمام وجد فانهم ترجموها بالاحتفاظ مع هذه الضمائر ، إلا طبعة واحدة ظهرت عام ١٩٢٩م فى اللغة الدارجة ، و لكن الكنائس الانجليزية رفضتها رفضا باتاً .

و بالرغم من أن المستشرقين يقللون دائماً أهمية القرآن الكريم ، و ينفثون سموم أحقادهم حول القرآن الكريم و لكنهم لم يجرؤ واحد منهم أن يترجمه فى اللغة العامة ، ابتداء من رودويل إلى آربرى .

و المترجمون المسلمون كذلك التزموا كل التزام بالتدقيق فى الترجمة ، منهم انجليزى الأصل و الثقافة و الأديب الصحفى الأستاذ ارما ديوك بكتهال ، والعلامة عبد الله يوسف على ، و الأستاذ الواسع الثقافة أديب الانجليزية و كاتبها المعروف محمد أسد .

و لكن انبرى فى العصر الحاضر بعض المنتمين إلى المعرفة من ترجم القرآن (حسب زعمه) بهذه اللغة ، و على رأسهم اليهودى العراقى داؤود ، و من تبعه بدون الانتباه . . و رجل باكستانى مجهول الهوية المدعو بير صلاح الدين .

أعتقد أن هذا البيان لا يكفى إلا أن أدعم ببعض الأمثلة ، حتى يدرك الخطر من لا يعبأ بهذا الفرق .

جاء فى القرآن الكريم « فتاب عليكم و عفا عنكم » (البقرة /١٨٧) و فى سورة التوبة (٤٢ عفا الله عنك الخ) فالمترجمون يراعون الفرق بين الخطابين ، أولهما للجمع و ثانيهما للمفرد (للنبى ﷺ) فترجموا الآية الأولى :

He hath turned in mercy toward you and relieved you .

(بكتهال)

و ترجم الآية الثانية « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا و تعلم الكاذبين » .

Allah forgive thee wherof didst thou grant them leave ere those who told the truth were manifest to thee and thou didst know the liars .

أما الأستاذ محمد أسد فقد انتهج الوسط بين ترك الضمائر المنفصلة واختيارها

فهو يترك مراجع الفعل (st) ، (th est) ، (t) و يلتزم باستعمال الضمائر thee - thau و لا بأس فى ذلك فانه يفى بالغرض المطلوب ، و لكن « المتجددون » مثل داؤود ، و أتباعه ، و بير صلاح الدين و أمثاله ، (إن كان لهما أتباع و أمثال) فقد يترجمون الآيتين المذكورتين على النحو التالى الآية ، « فتاب عليكم و عفا عنكم » .

He has relented towards yau and pardoned you .

و الآية « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » يترجمها داؤود بلغة عادية .

Allah forgive you why did you give them leave to stay behind before yau knew those who spake the truth from those who invented false excuses .

و هنا يتضح الفرق بين أسلوبين ، أسلوب الذين يراعون قدسية القرآن و ضرورة التدقيق فيفرقون بين الواحد و الجمع ، والذين لا يفرقون بينهما . بعدم اعتبارهم القرآن الكريم الكتاب الذى يستحق التدقيق .

و يتجلى هذا الفرق أكثر وضوحاً فى أولى آيات سورة التحريم ، و المنافقون ، و المجادلة ، حيث يخاطب القرآن شخص الرسول عليه الصلاة و السلام ، ثم يعرج على المؤمنين فيخاطبهم بواسطة الرسول ﷺ ، بالاختصار . ترى فى الآية .

« لقد جئت على قدر يا موسى» ٢٠/٤٠ - و آية « بلى قد جاءتك آياتى » .

فالمترجم غير المحتفل بالفرق الدقيق يترجم ضمير الفاعل و المفعول كليهما بكلمة You ، و لكن المترجم المتحفظ لجلال كتاب الله العظيم ، يفرق بينهما ، كذلك فى آية «إنكم ظلمتم أنفسكم» ٢/٥٤ - و آية «لقد ظلمت بسؤال نعجتك إلى نعاجه» ٣٨/٢٤ .

و الأمثال كثيرة لا تحصى تدل على ضرورة الاتقان فى ترجمة كتاب الله العظيم ، أما الذين لم ينتبهوا إلى هذه النقطة بالذات فانهم يظنون أن الاتيان بحروف art ، shalt و thou من قبيل الافتعال الذى لا داعى له .

التأمين فى الاقتصاد الاسلامى

الأستاذ محمد صدر الحسن الندوى

أستاذ الأدب و اللغة فى مدرسة كاشف العلوم أورنغ آباد (الهند)

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على محمد بن عبد الله الأمين ، و على آله وصحبه أجمعين ، و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين الذين ينفون عن الشريعة الاسلامية الغراء تحريف الغالين ، و انتحال المبطلين ، و تأويل الجاهلين .

و بعد : فمن الواضح الملموس أن الاقتصاد هو العمود الفقرى لأى شعب من الشعوب ، و قد احتل الاقتصاد فى هذا العصر بالذات محلا بارزاً فى حياة الشعوب و الأمم ، وقد شغل مساحة كبيرة فى كتب الباحثين كما وكيفا ، و لم ينل أى موضوع حظاً كبيراً من البحث و التمحيص و المناقشة فى هذا القرن ـ القرن العشرين ـ مثل ما ناله الاقتصاد على المستوى الاقليمى و الدولى .

فالاقتصاد هو موضوع الساعة (Burning Topic) و أصبح يقوم بدور بارز فعال فى تطور الأمم و رقيها و تنشئتها بلا منازع ، و قد لجأ الاقتصاديون لتأمين مستقبل الشعوب و الأفراد ، ليعيشوا حياة هادئة مطمئنة ، غير خائفين بعجز الميزانية الاقتصادية فى صورة وقوع أى حادث فى المستقبل ، إلى نظام تأمينى مؤسس على قوانين دقيقة و قواعد فنية ، على الطريقة المستحدثة المتطورة .

و لما كان الاسلام قد جاء ليقود البشرية إلى منهج أفضل و نظام أرقى و حياة مثلى ، ويضمن للبشرية فى ظلاله الوارفة السلامة و الطمأنينة .

و لما لم يكن الاسلام حجر عثرة فى رقى الشعوب و الأمم فى الأنشطة

الاقتصادية والمالية ، بل يحمل فى طيات إرشاداته و تعاليمه ، المنهج الكامل والشامل للمبادىء الانسانية العامة ، والنظم الكفيلة برعاية المجتمع وتصحيح مساره الاقتصادى .

و لما كان الاسلام هو الدين السماوى الأخير « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا (١) » ، اخترت هذا الموضوع المعنون بـ « التأمين فى الاقتصاد الاسلامى » (Insurance in Islamic Economy) لمحاولة إبراز وجهة النظر الاسلامية فى هذا الخصوص ، سائلا المولى عزوجل أن يلهمنى الرشد و الصواب .

المبحث الأول : دواعى التأمين و نشأته :

١ـ دواعى التأمين :

إن الحياة الانسانية مليئة بالأخطار والكوارث التى تحدث بين حين و آخر ، و هذه الكوارث لها صور متنوعة جداً ، و قد تعددت أنواع الكوارث وتفاقم أمرها بتطور أنواع استخدام وسائل المدنية الحديثة الراقية التى هى فى ازدهار ورقى فى كل يوم .

وكل إنسان حازم يتخذ أسباب الوقاية ضد الكوارث لئلا يقع فيها حينما يقع فيها الكثيرون الذين لا يأخذون بـ أسباب الحذر و الوقاية ، و لمواجهة هذه الأخطار و الكوارث يتخذ الناس أسباباً و وسائل عديدة حسب طاقاتهم و وسعهم وفق الحاجات و الظروف و الملابسات التى تحيط بهم ، لكن الأسباب التى يتخذونها لا تسمن ولا تغنى عنهم حينما تقع الكارثة على تلك الأسباب نفسها ، لأن الانسان لا يستطيع أن يرد قضاء الله المبرم ، وقضاء الله لا بد أن يقع سواء رضى به الانسان أم كرهه .

(١) سورة المائدة : ٣ .

وحينما تقع الكارثة يقوم أفراد عشيرته و أسرته بتقديم المعونة إليه، و بهذه المعونات تتنفس تلك الكربات التى نزلت بذلك الرجل المكروب ، لكنـــه قد تحصل لبعض الأشخاص كارثة أو يصيبه مكروه وهو لا يجد أحداً يمد إليه يد المعونة .

لذلك لجأ فريق من الناس إلى فكرة معينة ونظام خاص ليقوم به بحل هذه المشكلة التى يقع فيها ألوف من الناس و لا يجدون مخرجا ، و إلى تلك الدواعى يشير أحد الأساتذة فيقول :

(قد فكر فريق من الناس فى أن يقوم بدور الوسيط بين من قد يتعرضون لخطر معين ذلك بأن يجمع منهم الأقساط يكون عنده رصيدا يدفع منه لمن تحل به الكارثة متفقاً عليه لجبر ما أصابه من ضرر ، و بهذا ظهر التأمين التجارى ، و زاد من احتمالات نجاح هذا النظام أنه تبين أن الكوارث لا تقع فى الكون جزافاً ، ففى الظروف العادية تقع الكوارث بنسب لا تتفاوت كثيراً ، فالموت مثلا فى غير الحروب يقع بنسب معينة بين مجموع معين من الناس والحريق يقع كذلك بنسب معينة فى الظروف العادية، من هنا أمكن للمؤمن أن يعرف حساب المخاطر على ضوء قوانين الاحصاء ، و يقدر قسطاً مناسباً لتغطية مخاطر معينة ، بل ويضيف لنفسه قدرا من الربح إلى هـــذا القسط ، وينتفع بالأموال المدخرة من الأقساط فى مشاريع اقتصادية تعود عليه بربح وفير، و وجد المؤمن لهم فى التأمين وسيلة فعالة بجرما قد يلحق بهم من أضرار الكوارث و المخاطر ، و أغنتهم هذه الوسيلة عن طلب عون الغير ، كما أصبحت بالنسبة لهم أفضل من ادخارهم الفردى و قد يحصلون منها على أكثر مما ادخروا لها) (١) .

(١) أحكام التأمين فى القانون المدنى والشريعة الاسلامية ص ٥ - د / عبد الناصر توفيق العطار ، مطبعة السعادة (مصر) .

٢— نشأة التأمين :

قد بحث المؤرخون عن نشأة التأمين فوجدوا أن التأمين كان موجوداً فى العصور السالفة و قد مارسه البابليون و الفينقيون و الهنود و الرومان الاغريق ، و قد كانت عندهم فكرة للتأمين ولو ضئيلة ، و تلك الفكرة التى وجدت عندهم قد تبلورت و تطورت فى عصرنا هذا و تأسست على قوانين محكمة و أنظمة ثابتـــة مدروسة بصورة فنية قائمة على أسس و قواعد إحصائية (١) .

إن الاغريق كان عندهم مثل هذه المعاملة فقد قامت جماعة من ملاك العبيد بدفع أقساط معينة عن عبيدهم إلى الجمعيات التى كانت قد أنشئت لهذا الغرض فى مقابل أن تدفع الجميعة لهم ثمن العبد لو هرب من سيـــده ، كما أسس الرومان جمعيات تعاونية لنقل الموتى ، و الغرض من تأسيس هذه الجمعيات هو أن تقوم بدفع مصاريف الجنازة كلها فى مقابل أن يدفع كل عضو مبلغاً ضئيلا من المال كل أسبوع و هذه الجمعيات لم تزل موجودة إلى الآن فى إنجلترا (٢) .

قد تضاربت آراء المؤرخين فى أقدم أنواع التأمين ، لكن معظمهم ذهبوا إلى أن من أقدم أنواع التأمين هو التأمين البحرى ، و قالوا إن الشعوب القديمة كانت تمارسه فى نطاق محدود ويقوى هذا الرأى العبارة التى جاءت فى تلمود بابل فى القرن السادس الميلادى ونص العبارة يقول :

(١) الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٨٥ دار القلم مؤسسة فرانكلين للطباعـــة والنشر باشراف محمد شفيق غربال القاهرة ١٩٦٥ ، و الموسوعة الثقافية ص ٢٦٥ باشراف د / حسين سعيد دار المعرفة .

(٢) التأمين فى الشريعة و القانون ص ١٣ - د / شوكت عليان الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م .

يستطيع البحارة أن يتفقوا فيما بينهم على أنه إذا فقد أحدهم سفينة فتشيد له سفينة أخرى ، فاذا فقد أحدهم سفينة نتيجة خطأ ، فلا يحق له المطالبة بغيرها ، و إذا فقد البحار سفينة نتيجة ذهابه بها إلى مسافة لا تذهب إليها السفن عادة فلا يحق له المطالبة بأن تشيد له سفينة أخرى (١) .

معظم رجال التأمين ذهبوا إلى أن التأمين البحرى هو من أقدم أنواع التأمين لكنهم اختلفوا فى تحديد المكان الذى نشأ التأمين به لأول مرة ، فيرى معظم رجال التأمين أن أقدم عقد فى التأمين البحرى ظهر فى إيطاليا .

إن أقدم عقد فى التأمين البحرى ظهر فى إيطاليا فى عام ١٣٤٧م ولم يكن يختلف عن طريقة القرض البحرى ، و قد ساعد على انتشاره الايطاليون الذين هاجروا من بلادهم و استقروا فى بعض بلدان أوروبا كفرنسا و أسبانيا و بلجيكا ، ثم عرفت انجلترا و هولندا و ألمانيا تقاليد التأمين البحرى من تلك الدول وبخاصة بلجيكا ، وقد ظل التأمين البحرى خاضعاً للتقاليد العرفية فلم توضع له التشريعات إلا فى القرن الخامس عشر ، و كان الأسبان و البرتغاليون أول من أصدروا تشريعات لهذا النوع من التأمين ، و من أشهر هذه التشريعات أوامر برشلونة الأربعة التى صدرت فى السنوات ١٤٣٦ — ١٤٥٨ — ١٤٦١ — ١٤٨٤ ميلادية و فى عام ١٦٠١م صدر أول قانون انجليزى خاص بالتأمين البحرى (٢) .

ويقال بأنه ظهر من الوثائق القديمة أن مستوردى المعدات الحربية فى العصر الرومانى ، قد طالبوا الحكومة الرومانية بأن تقبل كافة أخطار الفقدان الناشئة من هجمات الأعداء أو من الأعاصير التى قد تحدث لهذه المعدات أثناء شحنها على السفن ، و قد واجه المؤمنون فى ذلك العصر مطالبات بالتعويض الجسيم بسبب الاغراق

(١) نفس المصدر ص : ١٣ .

(٢) التأمين ، المبادىء ، النظرية و الأسس التطبيقية ص / ٤ - الأستاذ مجيد الياسين مطبعة الأمة بغداد ١٩٧٥م .

العمدى للسفن أو إعطاء إقرارات كاذبة قيمتها تساوى أقل بكثير من قيمة التأمين (١) .

و قد كان بعض رجال الأموال يقرضون أصحاب السفن أموالا لا تعادل قيمة السفينة و حمولتها فى مقابل فوائد باهظة ، فلو غرقت السفينة ضاع على المقرض مبلغ القرض و فوائده ، و احتفظ صاحب السفينة بمبلغ القرض ، ولو وصلت السفينة سليمة يرد صاحبها القرض مع الفوائد للمقرض نظراً لتحمله جميع مخاطر الرحلة (٢) .

قدمنا أن بعض رجال الأموال كانوا يقرضون أرباب السفن أموالا تعادل قيمة السفينة و حمولتها فى مقابل فوائد جمة كانوا يحصلون عليها إذا وصلت السفينة سليمة إلى مقرها ، و لو غرقت قبل و صولها إلى المقر ضاع على المقرض مبلغ القرض كله ، نظراً إلى تلك القروض يقول رجال التأمين : إن قانون حمورابى (٣) يشير إلى تلك القروض التى كانت بمثابة فكرة تأمينية .

(١) التأمين فى الشريعة الاسلامية و القانون ص : ١٤ .

(٢) التأمين و موقف الشريعة الاسلامية منه ص ١٢ - الأستاذ محمد السيد الدسوقى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية مصر مصر ١٣٨٧هـ .

(٣) حمورابى هو ملك بابل ، و الملك السادس من ملوك الدولة الآشورية عاش حوالى ١٩٤٠ ق م ، و فى قول آخر ١٧٢٨ ق م ، و يعد عصر العصر الذهبى لبابل ، وطغت شخصية هذا الملك على غيرها من الشخصيات التاريخية التى ظهرت فى تاريخ العراق القديم ، ويعتبر قانونه عملا خالدا له .

نقش هذا القانون على كتلة من الديوريت ارتفاعها ٥٢ و ٢ من المتر ومحيطها ٩٠ ر ١ من المتر عند القاعدة ، وعثر عليها فى أطلال مدينة سوس حوالى عام ١٩٠٢م ، و يشتمل قانون حمورابى على ٢٨٢ مادة فى ستة و أربعين عموداً على محيط الكتلة الحجرية ، كما زين الجزء الأعلى من الكتلة بمشهد يمثل إله الشمس جالسا على عرشه و هو يملى على حمورابى الماثل أمامه « مراسيم العدالة » ويبدو واضحاً عن النص أن الملك ★

أما التأمين البرى فقد تأخر ظهوره إلى القرن السابع عشر ، و كان التأمين من الحريق هو الصورة الأولى التى ظهرت حسبما نشب الحريق الهائل فى لندن فى سنة ١٦٦٦م واخترق فيه أكثر من ثلاثة عشر ألف منزل ونحو مائة كنيسة (١) و انتشر التأمين من الحريق فى كثير من البلدان و خاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية و ألمانيا و فرنسا ، ثم ظهرت صور جديدة للتأمين أهمها التأمين من المسئولية ، و كان التأمين من الحريق قبل ذلك يشمل التأمين من مسئولية المستأجر عن الحريق و مسئولية الجار عن الحريق .

أما التأمين على الحياة فقد تأخر فى الظهور إلى اقتراب القرن التاسع عشر

★ قد انتهى من صياغة قانونه وأصدره فى العام الحادى والأربعين من حكمه .
وقد عملت نسخ عدة من هذا القانون وضعت إحداهما فى معبد شمس فى بابل عاصمة الدولة .
(أحداث شهيرة من التاريخ ص ٥ - ٦ - تأليف صمويل ننسون و وليام دى ويت ، ترجمة إسماعيل مظهر و جلال مظهر ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك مارس سنة ١٩٦٩م .
ويقول ول د يورانت : تطل علينا من بداية هذا التاريخ شخصية قوية هى شخصية حمورابى (٢١٢٣ — ٢٠٨١ ق . م) الفاتح المشرع الذى دام حكمه ثلاثا و أربعين سنة ، و قد كشف قانون حمورابى فى أنقاض مدينة السوس فى عام ١٩٠٢م و وجد هذا القانون منقوشاً نقشاً جميلا على أسطوانة من حجر الديوريت نقلت من بابل إلى عيلام حوالى عام ١١٠٠ ق م . فيما نقل من مغانم الحرب و هى الآن فى متحف اللوفر ويبلغ عدد قوانينها ٢٨٥ قانونا .
قصة الحضارة ج ٢ المجلد الأول ص ١٨٨ ترجمة محمد بدران لجنة التأليف و الترجمة والنشر مطابع الرجوى عابدين القاهرة .

(1) The New Encyclopaedia Britann a, P. 654 vol. 9 15 th Edition 1973.

إذ تعرض للهجوم أكثر من غيره من أنواع التأمين الأخرى . . . و أخذ فى الانتشار منذ منتصف القرن التاسع عشر و ذلك بفضل تحسين الأحوال الصحية وبوضع خبراء رياضيات التأمين على الحياة لجداول الوفيات على أسس رياضية دقيقة .

و ظهرت صور جديدة للتأمين فى غضون القرن العشرين منها التأمين من السرقة و التأمين من حوادث النقل الجوى ، و التأمين من استهلاك السندات و تأمين الدين و التأمين على الماشية و التأمين على المزروعات و التأمين على النقد أثناء النقل و التأمين على النقد فى الخزائن وتأمين السيارات و تأمين كسر الزجاج و تأمين مشاريع البناء و تأمين المصاعد و تأمين خيانة الامانة و تأمين خسائر الأرباح و تأمين المسئولية المدنية و تأمين المسئولية الشخصية و تأمين مسئولية المزارعين و تأمين مسئولية الفنادق و تأمين مسئولية السينما والتأمين من المسئولية عن الأعمال الشخصية و التأمين من المسئولية عن عمل الغير ، و التأمين من المسئولية عن الأشياء .

و يقال فى التأمين البرى أن المصريين كانت عندهم جمعيات و كان الأعضاء يدفعون اشتراكاً سنوياً إلى الجمعية يقول الدكتور سلامة عبد الله .

إن قدماء المصريين كونوا جمعيات لدفن الموتى منذ آلاف السنين و قد دعاهم إلى ذلك اعتقادهم فى حياة أخرى بشرط الاحتفاظ بأجسادهم سليمة بعد موتهم كما كانت من قبل حتى يتسنى للروح أن تعود إلى الجسد عند القيامة ، وقد استدعى اعتقادهم هذا إنفاق مصاريف باهظة عندما كانت تحدث الوفاة وقبلها بغرض التحفيظ وبناء القبور المستحكمة ، و أنشئت جمعيات تقوم بهذه المراسيم للاعضاء الذين يعجز ذووهم عن الانفاق عليهم عند موتهم ، و ذلك نظير قيام الأعضاء بدفع اشتراك سنوى للجمعية أثناء حياتهم فى نظير ضمان المصروفات اللازمة للتحفيظ و الدفن عند الوفاة (١) .

(١) موسوعة القضاء والفقه للدول العربية ٣٠ / ١٣٤ - دكتور سلامة عبد الله القاهرة : ٢٠ شارع عدلى ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م .

نحو أخوة إسلامية :

أفضل تخطيط الاخاء الاسلامى

[ورد إلينا هذا المقال القيم بقلم فضيلة الشيخ عبد الله عبد الغنى الخياط إمام الحرم المكى الشريف ؛ و كانت المجلة تجتاز مراحل الطباعة فأثبتناه فى هذا الموضع ، مع الشكر الجزيل لفضيلة الكاتب الموقر]
(التحرير)

لئن اعتز الأقوام بفضل منزع أو شرف مبدأ أو افتخروا بسمو تخطيط أو تعالوا بحسب أو نسب و ما إليه ، فان من حق المسلمين أن يعتزوا و يفخروا بسمو مبادئهم و يتعالوا بأفضل تخطيط رسمه الاسلام لرابطتهم و ارتفع به فوق كل رباط لحسب أو نسب أو أية وشيجة أخرى ، أنها رابطة الاخاء فى الله الذى وسع الاسلام نطاقه عن الحدودية فالمسلم أخو المسلم فى أى صقع من أصقاع الدنيا و فى أى واد ينزل به ، كما قال تعالى « إنما المؤمنون إخوة » و أشاع الاسلام الولاء بين محتضنيه لم يجعله لفريق دون آخر و لا وقفاً على السراة و القادة و الزعماء دون الدهماء ، بل أشاعه بين الاخوة و جعله برهاناً على التضامن و صدق الاخاء ، كما قال تعالى (و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض) (١) .

و وشج رسول الهدى بين دعائم هذا الاخاء بمبادىء تصقله و تنميه وتبعد عنه الزيف وتصحح واقعه ، من ذلك قوله ﷺ « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه

(١) سورة التوبة الآية ١٧ .

و من كان فى حاجة أخيه المسلم كان الله فى حاجته و من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة » (١) رواه البخارى و مسلم .

فبدأ رسول الهدى فى هذا الحديث بتخطيطاته للاخاء الاسلامى بتجافى المسلم عن ظلم أخيه ، سواء كان الظلم لنفسه كاغتصاب حقه أو النيل من عرضه و التشهير به و الطعن فيه أو سواء كان الظلم للغير ، وشر الناس من يظلم الناس للناس ، ولذلك صور لا تحدها السطور ، لعل من أبرزها النم و الايقاع بالأبرياء لغايات و دوافع نفسية و ليرتفع النمام على أكتاف من رماه بالبهت أو لتكون له الحظوة بجر مغنم مادى أو لرفع مكانته ، كل ذلك من الظلم العاتى الذى يجب أن يترفع عنه المسلم لأنه مناهض للاخاء و صدق الولاء بل جريمة فى صفوف الاخوة ، ولا يغرب عن الأذهان الحديث القدسى فى الحد من غائلة الظلم و التجافى عنه : « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى و جعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » (٢) و قول الرسول الكريم أيضاً ، « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » (٣) وقوله أيضاً فى وصيته لصاحبه - معاذ بن جبل رضى الله عنه « واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها و بين الله حجاب » (٤) أى يستجيب الله للمظلوم ممن ظلمه و يقتص له بحقه إن عاجلا أو آجلا .

ثم أهاب الرسول الكريم بالمسلم أن يسلم أخاه أى للمكروه ينزل به و الجوائح تقض مضجعه بما فى ذلك اغتصاب وطنه و تشريده منه ، كصنيع

(١) أخرجه البخارى و مسلم .
(٢) أخرجه مسلم و غيره و قال الامام أحمد : « ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث » .
(٣) أخرجه مسلم .
(٤) أخرجه البخارى و مسلم .

اليهود لعنهم الله ، مع الاخوة الفلسطينين ، وصنيع الشيوعيين الملحـــدين مع الاخوة الأفغان ، وصنيع أعداء الله مع أولياء الله فى كل زمان و مكان ، دون أن يكون له عوناً على الضراء و عضداً عند نزول مر القضاء و سنداً يؤازره ويناصره ليخفف عنه وقع الفاجعة و ألم الصدمة ويزيح عنه كابوس المحنة كما يفرض ذلك الاخاء الاسلامى بالنسبة للمسلمين جميعاً وهو لا يعنى الأفراد دون الجماعات ، و من له حق الجوار و من بعدت به الديار وشط به المزار ، فالمسلمون جميعاً متساندون متضامنون فى الآمال و الآلام ، يجب أن يقف المسلم إلى جانب أخيه بالنصرة و المؤازرة والعون والمدد ، تحقيقاً للصورة التى رسمها الرسول الكريم لواقع الرباط بين المسلمين حيث يقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » (١) وفى رواية أخرى للحديث « المسلم إخوا لمسلم لا يظلمه ولا يخذله » (٢) بدلا من لا يسلمه ، ويكاد يتحد المدلول هدفا و معنى ، فخذلان الأخ المسلم فى المواطن التى يجب أن ينتصر له فيها هو نفس إسلامه ! براثن المحن والنوازل تاخذ منه فهو استهانة ، و كأن ما ينزل به لا يعنى المجموعة الاسلامية فى شئ ، وما هان المسلمون افراداً و جماعات فى نظر أعدائهم إلا بعد أن أسلم المسلم أخاه للضيم ينزل به و الظلم يجتاحه ثم لا يريه من نفسه ما أوجبه الله عليه من نصرته و الأخذ بيده و تعضيده ، و إن خذلان المسلم فرداً أو جماعة أو إسلامه وصمة عار لا يغسلها عن المسلمين إلا الانتفاضة من جديد ، تكفيراً للماضى و استشعاراً لواجب الولاء وحق الاخاء ، ثم التكتل الجماعى و رفع كابوس المحنـــة عن الاخوة فى إصرار و عزيمة لا تعرف الخور ، وحزم لا ينهنهه صولة جبار أو إرعاد طاغية .

نعود فنتتبع التوجيه النبوى لرسم المخطط للاخاء والربط بين دعائمه ، لتمضى المجموعة الاسلامية متكافلة متضامنة فنلحظ الندب للتضحية بالراحة و التفـانى فى

(١) أخرجه البخارى و مسلم و غيرهما .
(٢) أخرجه أحمد و البخارى و مسلم و غيرهم .

قضـاء حاجة المسلم و السعى الحثيث لتفريج كربه ملوحاً بالوعد الكريم فى الجزاء الضافى مقابلة للاحسان باحسان من جنسه كتعويض عن التضحية ، وناهيك بتعويض هو فى الذروة بالنسبة لأى تعويض لقاء مجهود يبذله محسن و صاحب منة ، إنه الرعاية الالهية تصطحب من يبسط جناح رحمته للاخ المسلم ما دام فى حاجة إلى بسط جناحه عليه و كفالته فى قضاء حوائجه و إنقاذ موقفه ونصرته أو تفريج كربه و إغاثة لهفته أو ضم صوته إلى صوته للمطالبة بحقه ، فليس الاسلام مجرد صلاة و طقوس دينيـــة تؤدى فحسب لا صلة لها بالتكملات و الفضائل ونشر عوامل التضامن و المحبـــة بين الاخوة وبسط جناح الرحمة ، بل هو دين قويم متشابك الأواصر يجمع بين الصلات الطيبة بالخلق و العبادة الخالصة للخالق و لذلك كان أصدق تعبير لخلق الرسول الكريم ﷺ ما وصفته به أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حيث قالت : « كان خلقه القرآن » (١) فى القرآن تلتقى المصالح الدينية بالمنافع البشرية و تزدوج العبادة الخالصة بالخلق الكريم وصدق الله إذ يقول :

(ما فرطنا فى الكتاب من شئ) (٢) .

أما بعد ، فجدير بالأمة الاسلامية أن تستوحى أفضل تخطيط للاخاء وصدق الولاء من مبادئها و فى تخطيطات قرآنها و توجيهات نبيها ، فذلك خير و أهدى سبيلا و أوضح منهجاً من التطلع إلى تخطيطات مناهج الغرب و أساتيذه والأخذ بها و اعتبارها المثل الأعلى فى مسايرة ركب الحضارة أو التمشى مع واقع العصر ، فتلك دعوى يجب أن لا يقام لها وزن فى المجتمعات الاسلامية فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها لا فى الدين فحسب بل و فى كل مجالات الحياة ، وصدق الله إذ يقول : (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) (٣) أى فى كل مجال للتخطيط الدينى ، والاجتماعى والاقتصادى والحربى والسياسى ، والله الموفق .

(١) أخرجه البخارى . (٢) سورة الأنعام الآية ٣٨ .
(٣) سورة الاسراء الآية ٩ .

عبد الله بن رواحة ، و شعره الجاهلى

(٢)

سعيد الأعظمى الندوى

يوم معبس و مضرس : و كان يوماً شديداً اقتتل فيه الأوس و الخزرج قتالا شديداً و ظلت القبيلتان تقتتلان عدة أيام متتالية بدون توقف ، ثم انهزمت الأوس أنكر هزيمة لم ينهزموا مثلها قبل ذلك حيث قد خلت البيوت و الآطام من أهلها ، وهجرها الناس إلى أمكنة أخرى تفادياً من ضراوة الحرب وخسائرها :

أما معبس و مضرس فهما جداران كانت القبيلتان تستتران وراءهما لدى القتال ، فكانت الخزرج وراء مضرس ، و الأوس خلف معبس .

و فى هذا اليوم يقول حسان قصيدته الشهيرة التى يخاطب فيها أبا قيس بن الأسلت القيسى يعيره و يهجوه ، و مطلعها :

ألا ابلغ أبا قيس رسولا (١) إذا ألقى لها سمعا تبين (٢)

شعر قيس بن الخطيم فى هذا اليوم : و قد تألم الشاعر الأوسى قيس بن الخطيم بما حدث لقبيلته من هزيمة نكراء ، فقال شعراً تحدث فيه عما جرى فى هذه الحرب ، يقول :

ألم خيال ليلى أم عمرو و لم يلمم بنا إلا لأمر

(١) رسولا : المراد به رسالة .

(٢) إقرأ تاريخ الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٦٧٧ ، و ديوان حسان ، للاطلاع على القصيدة بكاملها ، وراجع بحثنا عن حسان بن ثابت الأنصارى و شعره الجاهلى ، فى العدد ٨ ج ٢٩ من مجلة « البعث الاسلامى » .

تقول ظعينتى لما استقلت أتترك ما جمعت صريم سحر(١)

فقلت لها ذرينى إن مالى يروح إذا غلبتهم و يسرى

فلست لحاصن (٢) إن لم ترونا نجالدكم كأنا شرب خمر

و تحمل حربهم عنا قريش كأن بنانهم تفريك بسر (٣)

و ندرك فى الخزارج كل وتر بذم الكاهنين(٤) و ذم عمرو(٥)

و لما سمع بالأبيات عبد الله بن رواحة رد عليه بأبيات مثلها ، إلا أن كتب التاريخ لم تحفظ لنا إلا بيتاً واحداً فقط ، و ذلك ما يقول :

كذبت لقد أقمت بها ذليلا تقيم على الهوان بها و تسرى (٦)

يوم فجار الأول : و من أيامهم يوم فجار الأول للانصار ، و ليس ذاك بفجار كنانة وقيس ، و كان ذلك يوم قتلت الأوس الغلمان ، و خرجت الخزرج و اقتتلوا قتالا شديداً حتى كاد بعضهم يفنى بعضاً ، و كان قيس بن الخطيم فى حائط له فلما انصرف رأى أن قومه بارزون للقتال فخاض معهم فى القتال وأبلى فيه بلاء عظيما وجرح جراحة شديدة فمكث حينا يتداوى منها ، و أمر أن يحتمى

(١) صريم سحر : مقطوع الرئة ، يعنى يائساً .

(٢) الحاصن هى المرأة العفيفة ، يريد أنه لا يكون ابن أم عفيفة إذا لم تروه يجالدكم .

(٣) البسر بالضم التمر إذا احمر قبل النضج ، و تفريك بسر ، يعنى إذا قشر البسر فيبدو شديد الحمرة ، و هو يعنى بذلك أن بنانهم حمراء من الدماء .

(٤) الكاهنين بالتثنية ، يريد بهما القريظة و النضير .

(٥) انظر ديوان قيس بن الخطيم .

(٦) ديوان عبد الله بن رواحة و تاريخ النقائض .

عن الماء ، و فى ذلك يقول عبد الله بن رواحة يخاطبه فى بيت له :

رميناك أيام الفجار فلم تزل حمياً فمن يشرب فلست بشارب (١)

وما عثرنا على غير هذا البيت ولم نجد له زوجاً ، فلعله يكون من القصيدة التى قالها ابن رواحة فى يوم بعاث ، و هى بنفس الرديف و القافية ، و التى قد استهلها بقوله :

أشاقتك ليلى فى الخليط المجانب نعم ، فرشاش الدمع فى الصدر غالب

حرب بعاث ، هى الأخيرة : و يوم بعاث آخر الحروب التى دارت بين الأوس و الخزرج ، و كانت عظيمة ، فقد كانوا يخرجون فيترامون بالحجارة و يتضاربون بالخشب ، و كانوا كذلك حتى أنزل الله بهم رحمة الاسلام فألف بين القلوب و جمع كلمتهم على الحق ، و أخرج حمية الجاهلية من نفوسهم ، وقد كانت هذه الحرب سبباً كبيراً لادرار قرائح شعراء القبيلتين ، فكان شعر غزير يعتبر من غرر الكلام ، فهذا قيس بن الخطيم الأوسى يقول قصيدة طويلة فى هذه المناسبة يستهلها بقوله :

أ تعرف رسما كاطراد المذاهب لعمرة(٢) وحشاً غير موقف راكب

و تحتوى هذه القصيدة على ٣٧ بيتاً ، و كلها فخر واعتزاز و تعيير وهجاء ، و هذه هى القصيدة التى استنشدها النبى ﷺ ، لكى يطلع بها على ما حدث فى يوم بعاث ، والعقلية التى كانت تعمل فى هذه الحرب الأخيرة بين القبيلتين ، فقد جاء فى الأغانى أن النبى ﷺ جلس ذات يوم فى مجلس ليس فيه إلا خزرجى ،

(١) تاريخ الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٦٧٦ .
(٢) هى أخت عبد الله بن رواحة التى يشبب بها قيس بن الخطيم و هى أم النعمان بن بشير الأنصارى .

ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم ، يعنى قوله :

أ تعرف رسما كاطراد(١) المذاهب لعمرة وحشا غير موقف راكب

فأنشده بعضهم إياها ، فلما بلغ إلى قوله :

أجالدهم يوم الحديقة حاسراً كأن يدى بالسيف مخراق لاعب

فالتفت إليهم رسول الله ﷺ فقال : هل كان كما ذكر ؟ فشهد له ثابت ابن قيس بن شماس و قال له : والذى بعثك بالحق يا رسول الله : لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه ، عليه غلالة و ملحفة مورسة فجالدنا كما ذكر » (٢) .

و آخر هذه القصيدة :

و غيبت عن يوم كتنى عشيرتى و يوم بعاث كان يوم التغالب(٣)

و لكن البيت الأخير فى كتاب الكامل لابن الأثير كما يلى :

أتت عصب للأوس تخطر بالقنا كمشى الأسود فى رشاش الأهاضب(٤)

قصيدة عبد الله بن الله بن رواحة : و أجابه عبد الله بن رواحة بقصيدة مثلها نقض بها ما قاله فى شعره الآتى :

أشاقتك ليلى(٥) فى الخليط المجانب نعم ، فرشاش الدمع فى الصدر غالبى

بكى إثر من شطت نواه ولم يقم لحاجة محزون شكا الحب ناصب

(١) الطراد : التتابع ، والمذاهب واحدها مذهب بضم الميم ، وهو جلد جعل فيه خطوط مذهبة بعضها فى إثر بعض .
(٢) الأغانى للاصفهانى ج ٣/ ص ٧/ طبع بيروت .
(٣) أيام العرب فى الجاهلية ص ٨٢ .
(٤) الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٦٨٣ .
(٥) و هى ليلى أخت قيس بن الخطيم التى شبب بها ابن رواحة .

لدن غدوة حتى إذا الشمس عارضت ... أراحت له من لبه كل عازب
نحامى على أحسابنا بتلادنا ... لمفتقر أو سائل الحق واجب
و أعمى هدته للسبيل سيوفنا ... و خصم أقمنا بعد ما ثج ثاعب
ومعترك ضنك يرى الموت وسطه ... مشينا له مشى الجمال المصاعب
برجل ترى الماذى(١) فوق جلودهم ... و بيضاً نقياً مثل لون الكواكب
وهم حسر لا فى الدروع تخالهم ... أسوداً متى تنشا الرماح تضارب
معاقلهم فى كل يوم كريهة
على الصدق منسوب السيوف القواضب (٢)

و هى قصيدة طويلة و لكن التاريخ لم يحفظ لنا إلا هذه الأبيات التى هى بين أيدينا ، و لكنها لا تخلو من إعطاء صورة مشرقة لشعر ابن رواحة الذى تحدث به عن مفاخره فى هذه الحرب و غناء قومه فيها .

شعر آخر فى حرب بعاث : و لما هزمت الأوس فى حرب بعاث بعد قتال شديد ولى رجالها مصعدين فى الحرة نحو نجد فصاح بهم رجل من الخزرج يعيرهم فقال : يا معشر الأوس أين الفرار ؟ فلما سمع حضير بن سماك أحد بنى عبد الأشهل صوت الخزرجى استحيا ، وصاح : و اعقراه ، فعطف عليه الأوس و تراجعوا ، و قد كان ذهب أكثرهم إلى دور بنى قريظة و النضير ينتهبون ما فيها حين هزمت الأوس ، ثم إن صائحاً صاح من الأوس يومئذ و قال : يا معشر الأوس : ابقوا فى إخوانكم ، لجوارهم خير من جوار الثعلب ، ارتهنت قريظة و النضير الخزرج ، و هنالك كفت الأوس عن النهب ، فقال فى ذلك

(١) كل سلاح من الحديد .
(٢) تاريخ الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٦٨٥ .

قيس الخطيم يذكر ترفع الأوس عن انتهاب بيوت الخزرج ، بدأها بقوله :

رد الجمال الخليط فانقضبا ... و قطعوا من وصالك السببا
الحمد لله ذى البنية إذ ... أمست دحى قد أثخنت غلبا
يركب حزن الطريق آخرهم ... يدعو بنى عمه و قد كربا
غودر عند المكر سيدهم ... فيه سنان تخاله لهبا
و ابن حرام و ثابت كشفت ... خيلاهما عنهما و قد عطبا
إن بنى الأوس معشر صدقوا الضرب فولى عدوهم هربا
زرناهم بالخميس صاحية ... نزجى تواليه جحفلا لجبا
إن بنى الأوس حين تشتجر ... الحرب لكالنار تأكل الحطبا
جاءت بنو الأوس عارضاً لجبا ... تحلبه الريح مقبلا حلبا
أرعن مثل الأتى أعقبه (م) صوب ملث يقمص الحدبا

أراد يقمص حدبه بالسفين فقال : يقمص الحدبا .

فقالت بنو الأوس عن عفافهم ... مروا و لا تأخذوا لهم سلبا
يسوق أخراهم أوائلهم ... كما يسوق المعرض الجلبا

و المعرض ، الذى يعرض إبله للجميع .

لما دعاهم للموت سيدهم ... ثابت إليه صفوفهم عصباً
فضربوا رأس كبش قائدهم ... حتى تولوا و أجمعوا هربا
بكل لدن ماض ضريبته ... عضب إذا هز متنه قضبا

فأجابه عبد الله بن رواحة بشعر قوى عير فيه قيس بن الخطيم و قومه و ذكرهم بأواصر الشر و الفحش والخيانة والبخل و اللوم و الكذب ، التى كانوا يتصلون بها بنسب قريب ، وأشاد فيه بقومه الذين انتصروا فى هذه الحرب وأحرزوا

الأسلاب ، وبما أن حرب بعاث قد سبقت قيس بن الخطيم وما كان حاضراً فيها لا يقدر على أن يقيس ضراوة الحرب ، و لو أنه قدرت له رؤية الحرب و حضوره فيها لكان قد لقى هزيمة و عاراً وعرف أن قتالنا لم يكن لعباً ، كما يعتز ابن رواحة بأبطال الخزرج الذين استباحوا ما فى ديار الأوس ، يوم كانوا حماة الآطام و البيوت ، يقول :

يا قيس أنتم شرار قومكم قدماً و أنتم أغثهم نسبا
حالفتم الفحش و الخيانة وال.....بخل جميعاً ، و اللؤم و الكذبا
يا قيس إن الأسلاب أحزرها من كان يخشى الذوائب القضبا
و أنت فى الدار غير محتضر حرباً و تدعو قتالنا لعبا
لو كنت فيهم و الحرب لاقحة لكنت فيهم مغلبا ذنبا
نحن استبحنا ما فى دياركم يوم صبحناكم بها حصبا
نحن حماة الآطام فى سالف الد.....هر و قدماً سقناكم حنبا (١)

قال ابن الكلبى : ثم إن الخزرج أجمعوا أمرهم على القتال و استعدوا له واستعدت الأوس فالتقوا بالبويلة فاقتتلوا قتالا شديداً ، فكانت الدائرة يومئذ للخزرج على الأوس (٢) ، ولعلها هى آخر حرب بين القبيلتين .

هذه هى النبذ القليلة من شعر ابن رواحة الجاهلى الذى عثرنا عليه من خلال كتب التاريخ و السيرة و كلها تتعلق بالحروب التى عاشتها القبيلتان فى الجاهلية و لذلك فانها لا تعطى إلا صورة مصغرة من التظاهر بالخصائص القومية

(١) حنب الشيخ إذا تقوس و انحنى واحدودب ، يعنى سقناكم مثل العبيد .
(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت ، دكتور سيد حنفى حسنين و حسن كامل الصيرفى ص / ٣١٩ .

والتفاخر بالصفات الحربية فى جانب ، و من المهاجاة والتعيير و المهاترات الكلامية فى جانب آخر .

أما الحكم برجحان كفة شعره الجاهلى على شعرائه المعاصرين وخاصة ابن الخطيم وحسان بن ثابت فلا يمكن بمثل هذا الشعر القليل الذى تعارفنا عليه فى الصفحات الماضية ، بل الواقع أن ذلك النموذج لا يلقى إلاضوءاً ضئيلا على شخصية الشاعر ، و ربما لا يحكم ميزان النقد فى حقه ، إذا وزن عليه كلامه هذا القليل ، و لكن ليس من المعقول أبداً أن يكون عبد الله بن رواحة قد اكتفى بمثل هذا الشعر القليل ، و لا يكون قد رد على الشعراء المعاصرين فى المناسبات التى كانوا يتعرضون فيها للقول ، و يتركون فيها القريض بكل حرية .

و لا شك أن حسان بن ثابت كان أولى منه بالرد على قيس بن الخطيم و غيره من الشعراء المعارضين ، و لذلك كان شعر حسان أكثر و أقوى فى هذا الموضوع و شعر ابن رواحة أقل و ألين بحيث لا يمكن أن يمثل شخصيته الشعرية فى عصره الجاهلى قوية واضحة .

وسنتحدث فى الصفحات الآتية - باذن الله - عن شعره الاسلامى ، و إن كان ذلك أيضاً لا يضارع شعر حسان بن ثابت رضى الله عنه فى الكثرة والقوة ، إلا أنه يعطى صورة لبعض جوانبه الشعرية ، ويمثل شيئاً من خصائص قريضه وعناصره الأدبية والايمانية التى أكرمه الله بها ، لا سيما وقد كان رسول الله ﷺ يحبه ويعتبره من شعراء الاسلام الذين يدافعون عن حماه ، ويذبون عن حوزته ، ولا يتركون فرصة إلا و ينتهزونها لتعزيز موقف الاسلام من بناء الحياة والمجتمع .

قضيـــة المسلمين

دراسة شاملة ؛ و عرض موضوعى

(الحلقة الرابعة)

الأستاذ مصطفى محمد الطحان الكويت

حاصرت المدارس المحلية : عندما دخل الاستعمار البلدان الاسلاميـــة وجد فيها عدداً كبيراً من المدارس الأهلية التى تدرس اللغة العربية و الدراسات الاسلاميـة ، و بدلا من تطوير هـــذه المدارس و إدخال العلوم العصرية ضمن برامجها . . و تخصيص الأموال للنهوض بمستواهـــا المادى ، بدلا من ذلك فقد حاصرها و دمرها ، و أنزل من مستوى طلبتهـــا و خريجيها و أساتذتهـا ، و الذين يتتبعون الحياة الثقافية فى الشعوب الاسلامية التى نكبت بالاستعمار يرى بوضوح عملية التجهيل التى تعهدتهـــا الادارة الاستعمارية ، و كيف كانت تزداد نسبة الأمية سنة بعد أخرى فى هذه الشعوب .

أحدثت الفراغ الثقافى : من خلال إهمـال نظـام التعليم التقليدى ضعفت مجموعة القيم المتأصلة فى نفوس أبناء الشعب سواء كانت قيماً إسلاميـــة أو دنيوية ، و نشأ التفريغ الروحى و الثقافى بعـــد أن سمح باضعـاف الجذور الموروثة و عدم تغذيتها بدم جديد ، هـــذا بالنسبة لنسبة كبيرة من أبناء البلاد ، أما بالنسبة للنخبة التى اختارها الاستعمار ، و رباها على عينه ، فقـــد لقنها علوماً مختلفة بلغة مغايرة أحدثت مشاعر و تصورات جديدة لا تمت بصلة إلى تصورات الأمة أو عقيدتها أو عاداتها و أعرافها ، من هنا بدأ الفصام النكد . .

جمهور المسلمين : فى جهالة و عامية قاتلة :

و النخبة : انقطعت عن جذورها ، و تشربت آراء و أفكار الغزاة وانتقلت إلى جامعات الغرب تستكمل دراستها و تعيش أجواءها الاجتماعيـة و الفكرية . .

و عادت من جديد تحت حماية حراب المستعمر لتأخذ دور الموجـــه الاقتصادى و الفكرى و الاجتماعى ، و لتحارب صراحة لغة المسلمين و شرع الاسلام وحياة المسلمين الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والتربوية ، وليطالبوا بالتخلى عن الحضارة الاسلامية التى هى رمز التخلف ، و ليلحقوا بالغرب و لو كانوا فى ذنب القافلة .

فكان لطفى السيد و قاسم أمين و مارون غصن و عبد العزيز فهمى و الزهاوى وسلامة موسى وطه حسين وسعيد عقل و أنيس فريحة ولويس عوض و أحمد أمين وأمين الخولى و أحمد خان .. وغيرهم كثير كل هؤلاء لم يكونوا نتاجاً طبيعياً و نمواً مباشراً للنماء الاجتماعى الطبيعى فى مجتمعاتهم ، و إنما هم نتاج التعليم الغربى الذى تلقوا منه القشور التى جاء بها المستعمر على المجتمعات غير الغربية .

رابعاً : الاستشراق :

لملء هذا الفراغ الذى أحدثه المستعمر فى الحياة الفكرية والثقافية فى المنطقة الاسلامية وجد المستشرقون - وهم فئة من العلماء الذين قنعوا و شرعوا للتبشير - و ملأوا المكتبات بأفكار و آراء نسبوها للاسلام - و الاسلام منها برىء - يريدون تضليل المسلمين و إشغالهم بما يفرقهم و يصرفهم عما يوحدهم ، و هنـاك من يلتمس للمبشرين الأعذار ، ويعذر جهلهم بأنهم تأثروا بالشد و الجذب والعداء الشديد الذى ساد العلاقات الغربية الاسلامية ، خلال عـــدة قرون حتى بلغت ذروة العداء فى المائة و الخمسين سنة الأخيرة ، هنـاك من يلتمس لهم مثل هذه الأعـــذار ، و الحقيقة أن المبشرين و المستشرقين هم جنود الخلة العسكرية الاستعمارية ، و لكل دوره المرسوم فى هذه الهجمة القذرة .

و حتى عام ١٩٥٥م القريب كانت المكتبة الاسلامية من إنتاج هذه الطبقة الحاقدة أو من إنتاج تلاميذهم ، ولا بأس أن نستعرض - وبسرعة - أهم الأفكار

التى حقنوا بها الناشئة المسلمة عن طريق المناهج الخاطئة التى سطروها وفرخوها . .

ففى العقائد كانت نظرة الغرب إلى الدين من خلال تجربته مع الكنيسة التى تصدت للأفكار العلمية و حاربت العلماء ، فأصبح الغرب ينظر للدين على أنه علاقة بين الله و الانسان .. و أنها علاقة شخصية لا صلة لها بالمجتمع ، و لا تؤثر فى تطور الحركة الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية .

و هذا المفهوم مغاير تماماً للفكر الاسلامى الذى ينظر للاسلام باعتباره ديناً و دولة و نظاماً و تشريعاً يشمل الفرد و المجتمع و الدولة سواء بسواء .

و المنهج العلمى الغربى ينظر للأديان جميعاً من خلال قاعدة أساسية تقول بأن الأديان ظاهرة اجتماعية ومرحلة تلت مرحلة الوثنية و تعقبها مرحلة العلم ، و لهذا فان الشعوب الراقية لا تحتاج للدين أصلا .

أما نظرة الغرب لنبى الاسلام فما زالت نظرة حاقدة تحكمها العلاقات المتوترة بين الاسلام و الغرب عبر القرون ، فلا توجد خرافة أو فظاظة إلا نسبوها إلى محمد ﷺ .

أما القرآن الكريم « فهو فيض وجدان محمد ، و صورة من انطباع نفسه بما كان يدور حوله و يقع أمام عينيه ، و الوحى ليس إلا وحياً من داخل النفس ، أى من العقل الباطن لا من رب العالمين » (١) .

أما الشريعة الاسلامية فهى فى نظر المنهج الغربى استمرار للفقه الرومانى أو مستمدة من النظام القبلى الجاهلى .

أما السنة النبوية فيزعمون أنها جمعت بعد وفاة محمد ﷺ بمدة طويلة و هى غير صحيحة ، و لا تعبر إلا عن أهواء و مصالح من جمعها .

(١) أخطاء المنهج الغربى ـ أ نور الجندى ـ ص ٩٠ .

و لقد ركز المنهج الغربى على نظرية أن الاسلام مجرد دين روحى لا علاقة له بالسياسة أو الدولة (١) .

أما الدراسات السكانية و العرقية و التاريخية « فالعالم وجد من أجل الجنس الأبيض » ، و أن « التاريخ الاسلامى لم يكن أكثر من اعتداء على الغرب » . و لو بقى المسلمون فى جزيرة العرب لما حدثت الحروب الصليبية ، و فى الوقت الذى يعلن فيه الاسلام أن الله خلق الناس من شعوب و قبائل لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، فان المنهاج الغربى ينظر للجنس الأوروبى الأبيض بأنه السيد الأقوى و الأذكى ، وما خلقت الشعوب الأخرى إلا لخدمته ، و من نتائج هذا الفكر الغربى الاستشراقى ، كانت « القومية العلمانية » و « الأقلية » و « الوطنية » التى بدأت فى أوروبا و بدأت تستشرى للأسف الشديد فى بلاد المسلمين .

و باختصار « فان المسلمين لا يمكن أن يرقوا فى سلم الحضارة و التمدن إلا بعد أن يتركوا دينهم و قرآنهم وراء ظهورهم لأنه يأمرهم بالخمول و التعصب ، و إن الاسلام يناقض مدنية هذا العصر من حيث المرأة و الرقيق ، وأن الشريعة الاسلامية هى شريعة صحراوية ، و أن أكبر أخطاء الاسلام إباحة الطلاق وتحريم الربا و الزنا » (٢) .

خامساً الأفكار الهدامة :

كانت المناهج التعليمية الغربية التى فرضها المستعمر فى بلادنا ، ثم رعتها من بعده الأنظمة التى فرضت على الشعوب الاسلامية ، كانت تهدم التراث الاسلامى

(١) كما زعم على عبد الرزاق فى كتاب « الاسلام و أصول الحكم » .
(٢) من محاضرة الكردينال لافيجرى فى أول يوليو ١٨٨٨م فى كنيسة سان سوليبس فى باريس .

من جهة ، و تغرس الشك و الأفكار الهدامة من جهة أخرى .

فالكون لا خالق له ، بل الطبيعة هى التى أوجدت كل شىء ، تماماً كما قال الله تعالى على لسان المشركين « نموت و نحيا و ما يهلكنا إلا الدهر » ، و هذه الدعوة قديمة جديدة ، وجدت فى القرن الرابع الهجرى من مخلفات الديانات الوثنية و الفلسفات اليونانية ، ثم جددها الاستعمار البريطانى فى العصر الحديث ، و أوجد لها جمعيات و مؤسسات ، بدأها فى الهند ثم انتشرت فى أرجاء العالم الاسلامى .

أما البهائية فهى دعوة قديمة متجددة كذلك ، شكلتها أصول متعددة من الفكر الوثنى اليونانى ، و الفكر التلمودى اليهودى ، و الفكر المجوسى ، وهى واحد من الدعوات التى ظهرت حديثاً فى عهد الاستعمار البريطانى بهدف إسقاط فريضة الجهاد أو تعطيلها » (١) .

و لقد كشفت مخططات البهائية عن منهج كامل فى هدم الاسلام :

١- إن أول مفاهيمها هو تأويل آيات القرآن ، و توجيهها إلى غايات تتعارض أساساً مع القرآن ، و تأويل نصوص الشريعة بما يحقق إسقاط التكاليف.

٢- تقول البهائية بتطور الشريعة مع الزمان ، و أنها لا تصلح بشكلها التقليدى لهذا الزمان .

٣- يزف البهائيون البشرى لجميع أهل العالم ، فقد أسقطوا حكم الجهاد ، تعالت هذه البشرى فى فلسطين ، و أيام السلطان عبد الحميد عندما أعلن الجهاد الاسلامى فى مواجهة زحف الاستعمار على الدولة العثمانية .

٤- محاربة اللغة العربية و الدعوة إلى استبدالها بما أسموه « اللغة النوراء » .

(١) الاسلام و الدعوات الهدامة - أنور الجندى : ص ٦٩ .

٥- إدعاء نبوة جديدة و دين جديد ناسخ للاسلام يحتوى على جميع رغائب المطامع و الشهوات .

٦- دعوة للاسلام العام ، و هى دعوة إسرائيل التى تستهدف استمرار وجودها فى فلسطين .

٧- الدعوة إلى تحرير المرأة و الاختلاط المباح ، واتخاذ المرأة متعة وشهوة .

٨- يدعو البهاء إلى جمع المسلمين و النصارى و اليهود على نواميس موسى عليه السلام ، أى يدعو إلى تهويد الجميع » (١) .

و الروحية الحديثة ، أو ما يطلقون عليه « تحضير الأرواح » ، هى من الأفكار الهدامة التى روجت لها البرامج الغربية و احتضنتها اليهودية العالمية .

و لقد كشف الكاتب الكبير (محمد محمد حسين) فى كتابه « الروحية الحديثة - حقيقتها و أهدافها » مدى خطورة هذه الفكرة، و كيف أنها تقوم على محاربة الأديان و بخاصة الاسلام ، وهدم الأخلاق و إعادة الانسان إلى الحيوانية الكاملة، فهو عندما يرتكب جريمته يرتكبها مجبراً تحت تأثير ما يسمونه «المس الروحى»!

أما الماسونية - أخطر الحركات الهدامة - فهى إحدى أنشط وسائل اليهود لاشاعة الفكر اليهودى التلمودى فى العالم .

و أهم أهداف الماسونية (٢) :

١- محاربة الأديان بصورة عامة و بخاصة الاسلام .

٢- تدمير القوى البشرية و معنويات الأمم و احتقار كل الشعوب و الأديان .

٣- السيطرة على الشباب ، تقول مصطلحاتهم : دعوا الكهول و الشيوخ جانباً ، و تفرغوا للشباب ، يقول (ماكس نوردو) : ادعوا إلى تنشئة

(١) المرجع السابق : (ص ٧٠ - ٧٤ باختصار) .

(٢) المرجع السابق : ص ١٠٤ - ١١١ .

الجيل الصاعد على الكذب و التمويه و المخادعة و على الأنانيـــة ، وحب المنفعة و السعى وراءها بكل الطرق .

٤- إشعال الثورات و الفتن و الاضطرابات .

٥- الدعوة إلى التعليم العلمانى و خلق جيل من العلمانيين .

٦- التركيز على المذاهب و الفلسفات و الأفكار البعيدة عن الأديان .

٧- الاختفاء وراء المسرح السياسى . يقول (بنيامين إسرائيل) السياسى الانجليزى عام ١٨٤٤ : « إن الذين يريدون دفة السياسة فى العالم ليسوا هم الذين فى دفة الحكم ظاهراً » ، و إنما أولئك الذين يكمنون وراء الكواليس » .

٨- بث الدعاية الخبيثة للمبادىء القاتلة للدين و الأخلاق باسم المذاهب السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية . تقول البروتوكولات : « انظروا إلى نجاح مذهب داروين ، و ماركس ، و جميع المذاهب هى من صنع دسائسنا » .

٩- التركيز على المرأة ، و الدعوة إلى تحريرها و نزعها من الدين و الأسرة ، و اجتذابها إلى المراقص و المحافل . يقول (أحمد أبو شادى فى كتابه عن الماسونية) : «المرأة لاتستطيع الحياة الكريمة إلا إذا حاربت رجل الدين».

١٠- تدمير الأسرة و الدعوة إلى الزواج المدنى .

١١- محاربة دعوات النضال من أجل تحرير الأوطان .

١٢- توفير أسباب الفساد عن طريق الثقافة والصحافة و نشر الروايات الاباحية و الصور الخليعة و الأغانى و إشاعة الأدب الاباحى المكشوف .

١٣- إحياء النحل و الوثنيات القديمة .

١٤- تأليه المال و استعمال كل الوسائل فى سبيل الحصول عليـــه كالرشوة و الكذب و العنف و الانتهازية .

١٥- تمجيد الغريزة ، و الدعوة إلى إطلاق عنان الشهوات .

١٦- السيطرة على الصحافة و المسرح و العلم .

١٧- نشر الرذائل و الخمر .

و لا توجد فروقات حقيقية بين الماسونيـة ، و تعاليم التلمود المقدس عند اليهود ، و بروتوكولات حكماء صهيون . . إنما هى أدوار محسوبة يؤدى كل فريق لحنه ضمن معزوفة الشيطان .

و لقد أوضحت الأديان للانسان حقيقـة الكون و الحياة ، فسرت له النشأة الأولى ، و البعث بعد الموت ، و الحساب و الجزاء ، و صانت عقله من البحث وراء غيبيات لا يمكنه إدراكها ، و عنـــد ما أدار الانسان فى الغرب ظهره للأديان ، لم يكن أمامه إلا أن يقول (إن هذا الكون مادى ، لا صانع له ، و أنه وجد صدفة و إنه يمتد بدون نهاية أو غاية ، و إن الموت هو نهاية كل حى) (١) و أن الحقيقـــة ما أقره العقل ، و أن ميدان العلم غير ميدان الدين و أنه لا مطابقة بين العلم و الدين ، و لا سلطان لأحد منهم على الآخر ، هـــذه هى النظرية المادية ، التى تستهدف تحطيم الدين و القيم ، فالحياة مادة ، و ما عداها هراء .

أما العلمانية فقد جاءت بعد الصراع المرير الذى خاضه العلماء الغربيون ضد سلطان الكنيسة ونظرياتها و تحكمها بالأباطرة و العلماء والعقول دهراً طويلا ، و المعنى الحقيقى للعلمانية هو أن لا يتدخل الدين فى حياة الدولة ، و بالمقابل لا تضطهد الدولة الدين على أساس أن ما لقيصر لقيصر و ما لله لله .

و على الرغم من هذا المفهوم ، فان العلمانية التى طبقت فى كثير من أقطار المسلمين صارت تعنى الحرية للأديان الأخرى و محاربة الاسلام .

(١) المصدر السابق : ص ١٢٨ .

و هناك كثير من الدعوات الأخرى التى شاعت فى الغرب ، و انتقلت بالتبعية - و بعد انهيار حصوننا العلمية و الثقافية و الفكرية ، و بعد الاستسلام الكامل للمناهج و البرامج التعليمية الغربية - إلى أقطار المسلمين .

مثل الفرويدية التى تزعم أن الانسان حيوان تحكمه غرائزه و أن الغريزة الجنسية هى المصدر الأول لدوافع الانسان و تصرفاته (و أن الكبت الجنسى هو أخطر شئ فى حياة الانسان ، الأمر الذى يقتضى أن يطلق الطفل من كل توجيه ، و إلغاء كل الضوابط التى تحفظ منطلقاته من التعثر و السقوط) .

جاء فى بروتوكولات حكماء صهيون « يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق فى كل مكان ، فتسهل سيطرتنا ، إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية فى ضوء الشمس لكى لا يبقى فى نظر الشباب شئ مقدس ، و يصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية ، و عندئذ تنهار أخلاقه » و بانهيار الأخلاق ، تنهار الأمم و يتحكم اليهود من جديد فى مصاير الشعوب .

و مثل الوجودية التى ترى (أن الحياة بلا معنى و لا هدف ، و أن العالم وجد كى يموت فيه الانسان ، و ما دمنا سنموت فليس لأى شئ معنى ، و إن مغامرتنا البشرية لا جدوى لها ، اليوم كالغد ، و أنه لا طعم لشئ و لا لذة لشئ ، و لا أمل فى شئ ، و لا بأس من شئ ، هذا العالم وجد بلا داع و يمضى لغير غاية) .

هذا الهراء اسمه « فلسفة » و هذا الانهيار الكامل اسمه « علم » .

و مسكين هذا الانسان الذى يعيش فى ظل حضارة و تعاليم اليهود . .

و لقد بقيت الصفحات التى كتبها كير كجورد (من رواد الوجودية) نحو مائة سنة تافهة مغمورة حتى أخرجتها اليهودية التلمودية فى أوائل هذا القرن و أذاعتها و ترجمتها إلى جميع لغات العالم .

(يتبع)

مقدمة سنن الترمذى

أو ، كتاب العلل الصغير للامام الترمذى

(الحلقة الثانية)

الأخ السيد صهيب الحسينى الندوى

تعريف العلة : العلة فى اللغة : المرض، يقال : عل يعل واعتل أى مرض فهو عليل .

قال أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى فى مقدمته : العلة : هى عبارة عن أسباب خفية غامضة قادحة فيه ، فالحديث المعلل هو الحديث الذى اطلع فيه على علة تقدح فى صحته مع أن ظاهره السلامة منها ، و يتطرق ذلك إلى الاسناد - الذى رجاله ثقات - الجامع شروط الصحة من حيث الظاهر (١) .

وقال الحافظ ابن حجر فى معرض ذكره لوجوه الطعن فى الحديث : و من أقسامه الوهم أيضاً ، وقال : ثم الوهم إن اطلع عليه بالقرائن وجمع الطرق فالمعلل .

و قال فى شرحه نزهة النظر : إن اطلع على الوهم بالقرائن الدالة على وهم راويه من وصل مرسل أو منقطع أو إدخال حديث فى حديث، أو نحو ذلك من الأشياء القادحة ، وتحصل معرفة ذلك بكثرة التتبع وجمع الطرق فهذا هو المعلل (٢) .

و قال الامام السيوطى : العلة عبارة عن سبب غامض خفى قادح مع أن الظاهر السلامة منه ، و يتطرق إلى الاسناد الجامع شروط الصحة ظاهراً (٣) .

---

(١) انظر : علوم الحديث لابن الصلاح ص ٨١ .
(٢) انظر : شرح نخبة الفكر ص ٨٢ .
(٣) انظر تدريب الراوى ج ١ ص ٢٥٢ .

استعمالات العلة فى معان أخر :ـ

ويتجلى بأقوال العلماء فى العلة ، أن العلة بصفة عامة تنقسم إلى قسمين ، الخاصة ـ و العامة .

١ـ فالعلة الخاصة : هى علة خفية غامضة قادحة فى الحديث مع أن الظاهر فيه السلامة منها .

٢ـ والعلة العامة : هى التى تشتمل على الجرح بالكذب و الغفلة وسوء الحفظ ، وغير ذلك من أنواع الجرح .

٣ـ ثم قد يطلق لفظ العلة على ما ليس بقادح من الأسباب كارسال من أرسل الحديث الذى أسنده الثقة ، حتى إن الامام الترمذى أطلق على النسخ أيضاً لفظ العلة .

٤ـ ويبدو من النظر فى كتب العلل أنهم يطلقون هذه اللفظة توسعاً على ما يتعلق بالجرح و التعديل و الكلام فى الرجال و الأحاديث ، و غير ذلك .

قال الحاكم أبو عبد الله : « و إنما يعلل الحديث من أوجه ، ليس للجرح فيها مدخل ، فان حديث المجروح ساقط واه ، وعلة الحديث تكثر فى أحاديث الثقات أن يحدثوا بحديث له علة ، فيخفى عليهم علمه فيصير الحديث معلولا والحجة فيه عندنا الحفظ والفهم و المعرفة لا غير » (١) ،

و قال الامام السيوطى : قد تطلق العلة على غير مقتضاها الذى قدمناه ، ككذب الراوى ، و غفلته ، وسوء حفظه و نحوها من أسباب ضعف الحديث ، وسمى الترمذى النسخ علة ، و أطلق بعضهم العلة على مخالفة لا تقدح كارسال ما وصله الثقة الضابط حتى قال : من الصحيح صحيح معلل كما قيل منه صحيح شاذ (٢) .

(١) انظر : كتاب معرفة علوم الحديث لأبى حاكم ص ١١٢ — ١١٣ .
(٢) انظر : تدريب الراوى ج ١ ص ٢٥٧ — ٢٥٨ .

كيف تدرك العلة :ـ

تدرك العلة بتفرد الراوى و بمخالفة غيره له مع قرائن أخرى تنبه العارف بهذا الفن على وقوع وهم فى الحديث بارسال أو وقف أو دخول حديث فى حديث أو غير ذلك بحيث يغلب على ظنه ذلك فيحكم بعدم صحة الحديث أو يتردد فيتوقف فيه .

و لا بد لمعرفة العلة من جمع طرق الحديث و النظر فى اختلاف الرواة وضبطهم و إتقانهم ، وليس كل واحد يستطيع أن يدرك العلل ، فانه أمر غامض دقيق لا يتفطن له إلا الحذاق المهرة ، وهم يستعينون مع ممارستهم التامة وسعة علومهم بهذه الأمور .

قال الامام السيوطى : تدرك ـ العلة ـ بتفرد الراوى و بمخالفة غيره له مع قرائن تنبه العارف على وهم بارسال أو وقف أو دخول حديث فى حديث أو غير ذلك ، بحيث يغلب على ظنه فيحكم بعدم صحة الحديث أو يتردد فيتوقف ، و الطريق إلى معرفته جمع طرق الحديث و النظر فى اختلاف رواته و ضبطهم و إتقانهم ، وكثر التعليل بالارسال بأن يكون راويه أقوى ممن وصل ، وتقع العلة فى الاسناد وهو الأكثر ، وقد تقع فى المتن ، وما وقع فى الاسناد قد يقدح فيه و فى المتن ، كالارسال و الوقف ، و قد يقدح فى الاسناد خاصة و يكون المتن معروفاً صحيحاً (١) .

حكم الحديث المعلل :ـ تقع العلة أحياناً فى السند ، و أحياناً فى المتن ، و أحياناً فيهما ، وقد تكون العلة قادحة فتضعف الحديث ، وقد لا تكون قادحة .

فمن أمثلة ما تقع العلة فى الاسناد خاصة ويكون المتن صحيحاً ، حديث يعلى ابن عبيد عن الثورى عن عمرو بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً .

(١) أنظر : تدريب الراوى ج ١ ص ٢٥٣ — ٢٥٤ .

« البيعان بالخيار » فقد وهم يعلى على سفيان الثورى فى قوله : عمرو بن دينار ، إنما هو عبد الله بن دينار ، فهذا المتن صحيح ، و إن كان فى الاسناد خطأ ، لأن كلا من عمرو و عبد الله ابنى دينار ثقة ، فابدال ثقة بثقة لا يضر صحة المتن .

و مثال العلة فى المتن : ما انفرد مسلم باخراجه فى حديث أنس من اللفظ المصرح بنفى قراءة « بسم الله الرحمن الرحيم » فعلل قوم رواية اللفظ المذكور لما رأوا الأكثرين إنما قالوا فيه : فكانوا يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين ، من غير تعرض لذكر بسملة و هو الذى اتفق البخارى و مسلم على إخراجه فى الصحيح إلخ (١) .

أما العلة التى تطلق على ما ليس بقادح من وجوه الخلاف نحو إرسال من أرسل الحديث الذى أسنده الثقة الضابط ، فمثل هذا الحديث يكون معلولا صحيحاً ، كما قال ابن الصلاح : « إن بعضهم أطلق اسم العلة على ما ليس بقادح من وجوه الخلاف نحو إرسال من أرسل الحديث الذى أسنده الثقة الضابط حتى قال : من أقسام الصحيح ما هو صحيح معلول ، كما قال بعضهم : من الصحيح ما هو صحيح شاذ (٢) .

نبذة عن تاريخ الكتابة فى موضوع العلل :-

لم نجد هناك من ألف كتاباً مستقلا فى تاريخ هذا العلم و تدوينه و تأليفه ، إلا أن الذى يبدو من تصفح أسماء الكتب التى ألفت فى هذا الموضوع ، أن التاليف بدأ فيه من أواسط القرن الثانى فينسب كتاب فى العلل إلى الامام أمير المؤمنين فى الحديث شعبة بن الحجاج (م ١٦٠هـ) .

(١) علوم الحديث لابن الصلاح ص ٨٢ - ٨٣ .
(٢) أيضاً ، ص ٨٣ .

و ألف فيه الامام يحي بن سعيد القطان (م ١٩٨هـ) ، و لكن هذه الكتب الأولى لا توجد فى المكتبات المعروفة ، و لا شك فى أن معلوماتها تكون قد انتقلت إلى الكتب اللاحقة .

و لم تكن الكتب الأولى فى هذا العلم مرتبة على شيىء من الأبواب و المسانيد ، ثم رتبت فيما بعد على الأبواب أو على المسانيد .

و من أوائل ما وصلنا من الكتب فى هذا العلم هو من مؤلفات القرن الثالث .

فقد ألف فيه يحي بن معين (م٢٣٣هـ) كتاب التاريخ و العلل (١) .

و لقد كان للامام على بن عبد الله المدينى (م٢٣٤هـ) النصيب الأوفر من المؤلفات فى هذا العلم ، فقد تخصص فيه ، و أفرد عدة مؤلفات ، ألف بعضها فى العلل عامة ، و ألف بعضها فى علل أحاديث رواة معينين ، كعلل ابن عيينة ، وقد خصص الامام على بن عبدالله المدينى أربع مؤلفات فى العلل هى كما يلى :

١- علل المسند ، ثلاثون جزءاً .
٢- علل حديث ابن عيينة ، ثلاثة عشر جزءاً .
٣- كتاب العلل المتفرقة ، ثلاثة عشر جزءاً .
٤- علل الحديث و معرفة الرجال ، (٢) .

ثم ألف الامام أحمد بن حنبل (م٢٤١هـ) كتابه « علل الحديث » و ألف

(١) هذا الكتاب موجود فى المكتبة الظاهرية ضمن مجموع ٢١٢ (من ورقة ١-١٦٦ ، سنة ٦١٠هـ) .
(٢) طبع هذا الكتاب بتحقيق دكتور عبد المعطى أمين قلعجى فى دار الوعى ، حلب .

الامام مسلم بن الحجاج القشيرى (م٢٦١هـ) كتابه « العلل » و ألف يعقوب بن شيبة البصرى (م٢٦٢هـ) كتابه « المسند المعلل » و هو كتاب ضخم حافل .

و ألف بعده الامام الترمذى كتابه « العال الكبير » أو « العلل المفرد » و قد استفاد الامام الترمذى فى باب العلل أكبر استفادة من الامام البخارى ، الأمر الذى يدل على أن الامام البخارى (م٢٥٦هـ) قد يكون له بعض المؤلفات فى هذا الموضوع .

و جاء بعده ابن أبى حاتم (م٣٢٧هـ) فألف كتابه الكبير فى « علل الحديث » .

و ألف أبو على الحسين بن محمد بن أحمد الماسرجسى النيسابورى (م٣٦٥هـ) فى العلل ، قال الحاكم : صنف المسند الكبير مهذباً معللا فى ألف و ثلاث مأة جزء ، و على التخمين يكون مسنده بخطوط الوراقين فى أكثر من ثلاثة آلاف جزء ، فعندى أنه لم يصنف فى الاسلام مسند أكبر منه (١) .

ثم ألف الدار قطنى (م٣٨٥هـ) و هو أجمع و أوسع كتاب موجود فى الدنيا فى هذا الفن ولعله لم يؤلف مثله ، و إليه المنتهى ، و يقال إنه لم يأت بعده مثله .

ثم ألف الحاكم النيسابورى (م٤٠٥هـ) فى علل الحديث .

و ألف الامام ابن الجوزى (م٦٥٦هـ) « العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية » فى ثلاث مجلدات .

و أخيراً جاء خاتمة المحدثين الحفاظ الحافظ ابن حجر فألف كتابه « الزهر المطلول فى الخبر المعلول » .

و هكذا استمر التأليف فيه من القرن الثانى إلى القرن التاسع ، و إذا كان

(١) انظر تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٦٥٦ .

الأوائل من المحدثين من حذاق هذا الفن ، المتفطنين للعلل ، فان المتأخرين من المحدثين اقتفوا أثرهم ، وجمعوا بين جهود عدد من المؤلفين منهم ، و زادوا وأحسنوا الترتيب والتنسيق ، شكر الله سعيهم وأجزل مثوبتهم فى خدمتهم للحديث الشريف .

منهج الكتابة فى هذا الموضوع :

و أقدم المصنفات لم يكن مرتباً على الأبواب بل كان يضم كثير من الأحاديث المختلفة كالعلل المنقولة عن ابن معين و على بن المدينى و غيرهما .

ثم صنف العلماء العلل على الأبواب و بعضهم صنفها على المسانيد ، والغالب على منهج كتب العلل أن يسأل الشيخ عن حديث من طريق معينة ، فيذكر الخطأ فى سنده أو فى متنه أو فيهما ، و قد يذكر بعض الطرق الصحيحة و يعتمد عليها فى بيان علة الحديث المسئول عنه ، و يعرف أحياناً ببعض الرواة و يبين أحوالهم قوة وضعفاً ، حفظاً و ضبطاً ، و لهذا أطلق بعض المصنفين على كتبهم اسم « التاريخ و العلل » أو (الرجال و العلل) .

و إن التزام الأئمة لهذا المنهج يعود إلى طبيعة هذا العلم و موضوعه الذى يعتمد اعتماداً كبيراً على الحفظ و الفهم و معرفة الطرق الكثيرة ، و المشتبه من أسماء الرواة و ألقابهم و أنسابهم و أوطانهم و شيوخهم و أحاديثهم ، فحين يعرض السائل ما عنده من حديث على الجهبذ أو يسأله عن أحاديث معللة يجد الجواب حاضراً لمعرفته بالصواب ، وأقرب مثل لهذا ، قراءة القرآن بين يدى أئمة القراء الذين يصححون الغلط لمعرفتهم بالقراءات الشاذة الصحيحة لذلك قال بعضهم : لا تقل لى ما الحجة فى قولكم كذا و كذا بل اذكر لى الحديث أبين لك علته (١) .

(١) انظر أصول الحديث ، علومه و مصطلحه للدكتور محمد عجاج الخطيب .

محاكمة

الأستاذ الشاعر محى الدين عطيه

أبى هل ضاعت الأموا ل من أيديكمو غصبا ؟
أم الشيطان راودكم فطرتم خلفه سربا ؟
وكيف النفط لم يرسم على صحرائكم خصبا ؟
و لم يغرق خزائنكم و يجعل ملحكم عذبا ؟
و لم يحرز لكم سبقاً و لم يركب بكم شهبا ؟
أبى أم صارت الأموا ل فيما بينكم حربا ؟
وهل أوغلت فى دمها فكنت الشاة و الذئبا ؟
وهل طالت فما أبقت لنا عنباً و لا قضبا ؟
أبى لو كانت ألمأسا ة أن و رثتنا عشبا
لهانت ، لكن النيرا ن كادت تحرق القلبا

الظافر

يا باحثاً عن فتاة شريكة للحياة
إن كنت تسعى لقنص فلست خير الرماة
تفنى الكنوز ، ويبقى ما عندها من صفات
إن كنت تطلب أصلا موثقاً بالرواة
كم فاضل أو حسيب لم ينجب الفاضلات
إن كان حلمك وصلا بأجمل الفاتنات
فدمية الأمس تضحى مملولة فى الغداة
أما إذا كنت تسعى بحثاً عن المكرمات
عمن تحلت بعلم و ازينت بالصلاة
فاظفر بها و اغتنمها إنها طوق النجاة

رجل فقدناه :

فضيلة الشيخ عبد البديع السيد صقر

فى ذمة الله

سعيد الأعظمى

نعى إلينا أخونا الفاضل الشيخ عبد الحميد الندوى من دبئ ، فضيلة الأستاذ الشيخ عبد البديع السيد صقر فى حادث اصطدام سيارة حدث فى مصر فى طريق عودته إثر إلقاء محاضرة دينية ، وذلك فى الأسبوع الأول من شهر ربيع الثانى ١٤٠٧هـ ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

لقد كان الفقيد من الطراز الأول من دعاة الاسلام و علمائه العاملين صحب الامام حسن البنا مؤسس جماعة الاخوان فى الفترة الأولى من دعوته و لازمه فى أعماله ونشاطه إلى مدة طويلة ، وحمل فكرته الدعوية بكامل الايمان والاقتناع ، فكانت حياته تمثل مدرسة الدعوة التى حمل رايتها الامام البنا ، و كانت نشاطاته العملية و الفكرية تنبع من هذا المنبع الفياض .

عرفته قبل أن أراه كداعية مخلص أحد المعجبين بالامام البنا ، فطالما كنت قد سمعت به فى مجالس أستاذنا العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، ولقيته لأول مرة فى الدوحة بدولة قطر فى عام ١٣٨٩هـ المصادف عام ١٩٦٩م ، وكان مدير دار الكتب القطرية التى بذل فى توسعتها وتنظيمها كأحدث مكتبة إسلامية مجهودات مشكورة ، فقد ركز على اقتناء المخطوطات و النوادر من كتب التراث الاسلامى ونشرها و توزيعها على حساب الحكومة ، و لم يأل جهداً فى تحسين هذه المكتبة وترويج بضاعة العلم والدين عن طريقها ، وكان أثيراً لدى الشيخ أحمد على الثانى حاكم قطر حينذاك ، فقد كان يحبه ويثق فيه بما كان جديراً به .

ولما قدر لسمو الشيخ أحمد على آل ثانى رحمه الله أن يغادر من الدوحة إلى دبى لأسباب سياسية انتقل معه الراحل الكريم وترك الدوحة نهائياً ، وهنا اتسع نشاطه الدينى و الدعوى ، و بعد فترة من الوقت وفقه الله تعالى لتأسيس مدرسة الايمان فى دبى ، التى بث شبكتها فى مدن دول الامارات المتحدة ، وذلك بعد ما رأى أن دولة الامارات بأمس حاجة إلى نشر الوعى الدينى و التعليم الاسلامى فى النشء الحديث ، فألقى الله فى روعه أن يقوم بتأسيس مدارس الايمان بجميع مراحلها ، يبدأها من الروضة و الابتدائية ويصل بها إلى ما شاء الله ، و قام بهذا النشاط التعليمى بأسلوبه الدعوى الخاص و باتخاذ الطرق الحديثة ذات الغناء الزائد فى العصر الحديث ، وركز على هذه الناحية جميع قواه العملية و الفكرية و وضع فيها جميع امكانياته و وسائله ، حتى عم نفعها فى جميع أوساط الشعب ، وبدأ الناس ينظرون إلى عمله هذا باعجاب و تقدير .

تكرر لى اللقاء مع الفقيد بعد ذلك فى الامارات و فى الكويت و القاهرة وحضرت معه فى بعض المناسبات الدينية وزرته فى مقره فى دبى ، و فى مدرسة الايمان المركزية فى دبى ، و استمعت إلى أحاديثه المسجلة و تبادلت معه الآراء حول بعض القضايا الدعوية و التعليمية فزدت ثقة باخلاصه وتعمقه فى الأصول وتصلبه فى العقائد ، وكان قد أسس مكتبة علمية تاريخية و فقهية بالأحاديث المسجلة ، و بالأصح (مكتبة كاسيت المسموعة) وذلك استجابة لمطالب عصر العلم و التكنولوجيا ، وعصر الذرة و السرعة ، حتى يتسنى للناس الاستفادة من الدين بطريق أسهل و وقت أقل ، و لم يخل تفكيره لحة واحدة من الاعتناء بكل طريق مفيد فى مجال التعليم و التربية و الدعوة الاسلامية ، مع عنايته الكاملة بمشكلات وقضايا المسلمين فى كل مكان ، فقد رأيته يجمع رزمات من الملابس و المعونات الشتوية لكى يبعث بها للمسلمين المنكوبين فى المناطق المتضررة بالأحداث و الاضطرابات فى العالم .

وكان كثير التحديث بالنعم التى أنعم الله بها عليه من المال و الأولاد ،

و التوفيق لأداء الواجبات التى تعود عليه كعالم دينى و داعية إلى الله ، ويشكر الله على ذلك و يحمده بالقلب و اللسان ، فكان يتبرع للمشاريع الاسلامية ويسهم فى الأعمال الخيرية بقلب واسع ، كما كان يساعد أصحاب الحاجات وطلبة العلم فى مختلف الجهات .

كانت علاقته بأستاذنا الكبير سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى وطيدة مخلصة ، فأحبه من أعماق قلبه و انسجم معه فكريا وعاطفياً فى مجال التعليم والتربية والدعوة والفكر الاسلامى ، و بالتالى كان يحب تلاميذه و أبناء المتخرجين على يده ، فما أن علم بوجود أحد ممن ينتمى إلى ندوة العلماء ورجلها العظيم سماحة الشيخ الندوى سواء فى دولة الامارات أو خارجها إلا وقد أحسن به الظن ورأى فيه عالما وأديبا وداعية يفكر فى القضايا مثل تفكيره وينظر إلى الشئون والأحداث بنظرته الواسعة العميقة .

ولما عقدت ندوة العلماء أول مؤتمر عالمى للادب الاسلامى فى عام ١٩٨١م وجهت إليه الدعوة فى هذه المناسبة فلباها وحضر المؤتمر وزار مقر ندوة العلماء لأول مرة ، فآثر الاقامة فى مضيفها المتواضع على النزول فى الفندق ، وظل مقيماً فى جو علمى و دينى يعيش مع طلبة العلم ويقضى وقتاً طيباً فى ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها ، و قد طابت له الاقامة و أعجب بما رأى فيها من جد و نشاط و صدق عزيمة ، و عندما قدر لى اللقاء معه فى دولة الامارات بعد عودته من هذه الرحلة أثنى على مجهودات ندوة العلماء ، وقال لى : انه قد وجد الندوة أكثر و أوسع مما كان يتصورها و يتخيلها .

مع ذلك فقد كان صادق اللهجة فصيح اللسان ، شديد الاهتمام بالتعبير الصحيح الجميل ، بعيداً عن كل مبالغة فى المجاملات ، رأيته واقعياً فى حياته و برامجه و أعماله و نشاطاته ، ولم تكن تضيع لحظة من حياته بدون هدف واضح أو عمل صادق ، كما كان صريحاً فى أقواله وأعماله لا يعرف المداهنة ولا ما يسمى بـ « السياسة » فى مصطلح اليوم ، عرفه الناس بجرأته فى الحق ، دون أن يخاف

فيه لومة لائم مع المحافظة على بشاشة الوجه التى لم تكن تفارقه فى أى حال .

عاش حياة النزاهة والورع والاخلاص وسعة القلب واليد ، وحياة الاهتمام ببناء الجيل المسلم الذى يعيش لله و فى الله ومع الله ، ويتمتع بالفهم الصحيح للاسلام ويطلع على أساليب الدعوة إلى الله فى المجتمعات الانسانية ، على اختلاف الأوضاع و العادات ، والأجواء ، و كتابه (كيف ندعو الناس) خير شهادة على ما كان لديه من تجارب نافعة فى مجال العمل للاسلام والدعوة إلى الله ، و إعداد الدعاة إلى دين الله و العاملين لاعلاء كلمته .

له من المؤلفات القيمة ما يكون خلفا صالحاً له ، و باعثاً على استمرار فوائده العلمية والدعوية فى كل زمان و مكان ، و من هذه المؤلفات كتابه الشهير « كيف ندعو الناس » و هو كتاب ذونفع عظيم للدعاة و العلماء و الطلبة على السواء ، و (مختار الحسن و الصحيح من الحديث الشريف) و (التجويد و علوم القرآن) و (نقد لقصيدة البردة) للبوصيرى ، و (رجلة الحج وما يلزمها) و غيرها من مؤلفات و رسائل نافعة أخرى .

كما أن له مشاركة فى تحقيق وطبع ونشر مجموعة من كتب التراث التى طبعت على نفقة حاكم قطر الشيخ أحمد على آل ثانى و والده على بن عبد الله الثانى فى قطر .

كان من مواليد قرية صقر من المحافظة الشرقية بمصر ، و قد تخرج من كلية الآداب بالقاهرة .

إن وفاته خسارة فى مجال الدعوة والفكر الاسلامى و فى مجال التعليم و التربية ، نرجو الله سبحانه و تعالى أن يثمر ما غرسه من غراس الايمان والعمل ثماراً يانعة جنية ، وينمى خيره و مجهوداته المخلصة التى بذلها فى سبيل إعلاء كلمة الله ، ويجزل مثوبته فى آخرته ويجعله مع الأبرار و الصالحين ، ويلهم أهله و أنجاله الكرام و ذويه الصبر و السلوان .

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلا) .

عدد ممتاز عن العلامة الميمنى

لمجلة المجمع العلمى الهندى

قلم التحرير

تلقت أسرة المجلة نسخة من العدد الممتاز لمجلة المجمع العلمى الهندى التى يصدرها المجمع العلمى الهندى بجامعة عليكره الاسلامية فى الهند ، برئاسة الفاضل الدكتور مختار الدين آرزو ، و هذا العدد الممتاز يختص بحياة علامة العربية الكبير المرحوم عبد العزيز الميمنى الذى كان أستاذاً ثم رئيساً لقسم اللغة العربية و آدابها بجامعة عليكره الاسلامية فى الهند نحو ثلاثين سنة ، قام خلال هذه المدة بأعمال أدبية و تحقيقية وعلمية ذات قيمة و أهمية كبيرتين ، وطار صيته إلى خارج البلاد وعرف بآثاره الباهرة و نظرته الواسعة فى مناحى العلم و الأدب و اللغة العربية ، لدى الأوساط العلمية و الأدبية فى البلاد العربية .

نالت جامعة عليكره الاسلامية شهرة واسعة فى عهده بين عواصم الدول العربية و جامعاتها و مراكزها الثقافية ، و الاكاديمية ، فقد اختير العلامة الميمنى عضوا مراسلا لمجمع اللغة العربية بدمشق فى عام ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م وظل فى هذه العضوية الكريمة إلى عام ١٩٧٧م ، و كذلك صلته بأعلام العلماء العرب و أدباء الشرق العربى وكبار المستشرقين ، مثل العلامة محب الدين الخطيب و العلامة خليل مردم بك و عز الدين التنوخى و أحمد أمين ، و يوسف العش و فواد سيد عمارة و فواد سزكين ، و أحمد محمد شاكر و العلامة سعيد الأفغانى ، و الأستاذ فان آرندونك ، و جوزيف فيوك ، و هيلست ريثر ، و رودولف غاير ، و البرت ديتريش ،

خير شهادة على عكوفه على إبراز دفائن العلم و انهماكه فى تصحيح مسيرة الأدب و اللغة ، والغوص فى بحار البحث و التحقيق و استخراج ما فيها من الدرر الثمنية و اللآلى القيمة ، مما لم يعثر عليه كثير من رجال البحث و التحقيق .

عاش حياة العلم و الأدب ، ورضع بلبان البحث و التدقيق و التصحيح و التعليق ، و استطاع بطبيعته العلمية الفياضة أن يحقق فى مدة قليلة من الأعمال التحقيقية و الانجازات العلمية النادرة ما يعتبر زيادة غالية فى المكتبة العربية الاسلامية ، و مفخرة كبيرة للاوساط العلمية الأدبية فى كل بلد ، إنه شق طريقاً للبحث الاكاديمى حين لم يكن ذلك معروفاً إلا فى بعض المراكز التحقيقية و الاكاديميات الغربية ، فكان منهجه فى ذلك فريداً ، كما لا يخفى على المطلعين على أعماله و إنجازاته العلمية والأدبية ، على أن العصر الذى عكف فيه على عمل التحقيق و البحث والتنقيب لم يكن يتوفر فيه من التسهيلات و التيسيرات الكتابية والثقافية ما يتوفر اليوم ، ولكنه وفق إلى إثراء ركن التحقيق والبحث الاكاديمى ، بحيث اعترف به كبار النقاد و الأدباء و المحققين فى كل من العالمين الاسلامى الشرقى و الغربى .

لقد كان العلامة الميمنى وهو ذلك العلم الفريد ، جديراً بأحياء ذكراه بمناسبة مرور مأة عام على ميلاده ، كان حقيقاً بالاعتناء الكبير ، و تخليد آثاره العلمية و الأدبية وأعماله التحقيقية و منجزاته الاكاديمية ذات القيمة الغالية ، بكل أسلوب ممكن ، وقد أحسنت جامعة عليكره الاسلامية إذ أرادت إبراز وتخليد بعض مآثره و إفادته العلمية عن طريق قسم اللغة العربية فيها و بواسطة رئيسه الأسبق الدكتور مختار الدين آرزو ، باصدار هذا العدد الممتاز لمجلة المجمع العلمى الهندى التى تصدر مرتين فى السنة كلسان حال لهذا المجمع العلمى الهندى .

هذا العدد الممتاز عن العلامة الميمنى يتميز بمواده و محتوياته و البحوث القيمة التى تولى إعدادها كبار العلماء و الأدباء ممن كانوا على صلة قريبة بالعلامة الميمنى ، و عرفوه من خلال معارفه و تحقيقاته و أفكاره الأدبية والعلمية ، و ن نظرة على قائمة المحتويات تفيدنا بقيمة هذا العدد الممتاز و ما يحوى بين دفتيه من فوائد اللغة والأدب والتاريخ ، و إلى القارىء الكريم بيان تلك البحوث وأصحابها :

فى كلمة التقديم لهذا العدد الذى كتبه سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، يلقى ضوءاً لامعاً على الدور الممتاز الذى مثله العلامة الميمنى فى خدمة اللغة العربية و آدابها ، و يحدث عن البواعث التى بعثته على التركيز القوى على لغة غير لغة أمه ، و بذل أكبر قسط من الوقت و الذكاء و المؤهلات العلمية فى تحقيق آدابها وعلومها والبحث عن دفائن كنوزها ، و إبراز كثير من دررها المكنونة .

أما فى مقاله الضافى عن العلامة الميمنى فقد تحدث فيه عن علاقته معه ، و مكانته العالية فى الأدب العربى و اللغة العربية ، و منجزاته و مآثره التحقيقة ، و تذوقه للادب والبيان ، وهو مقال قيم لمعرفة أحوال العلامة الميمنى و الاطلاع على حياته الحافلة بجلائل الأعمال العلمية و الأدبية .

وكذلك مقال الأستاذ سعيد الأفغانى فى ذكرى الراجكوتى ، والشيخ حمد الجاسر فى كلمته الضافية عن مكانته العلمية و الأدبية و عن آثاره وتحقيقاته ، كما تحدث الدكتور ناصر الدين الأسد عن خواطره ومشاعره نحو العلامة الميمنى ، والدكتور عدنان الخطيب أشاد بخدماته العظيمة فى مجال التحقيق و التأليف ، و الدكتور شاكر الفحام أفاض فى الحديث عنه و ما قام به من أعمال جليلة . و الدكتور السيد محمد يوسف أشار فى مقاله إلى بعض جوانبه المهمة ، وتحدث عن معرفته به .

وكتب نجل العلامة الميمنى الدكتور محمد محمود عن جوانب من حياة والده

العظيم ، و ترجم حياته بتفصيل ، و الدكتور محسن جمال الدين بين مكانته فى التحقيق العلمى بشئ كثير من الايضاح ، و الشيخ نذير حسين أشاد بحياته العلمية و الأدبية، وكذلك الدكتور جميل أحمد فى مقاله عن العلامة الميمنى ، و الدكتور مسعود الرحمن الندوى فى مقاله تحدثا عن مكانته العلمية و الأدبية الرفيعة ، و الأستاذ الكبير الشيخ محمد ناظم الندوى أشار إلى علاقته بالميمنى و منزلته العالية فى الأدب واللغة ، وتحدث الدكتور محمد راشد الندوى عن منهج الميمنى فى البحث والتحقيق ، و أشار إلى جوانب مهمة فى حياته التحقيقية .

ولكن الدكتور إبراهيم السامرائى تحدث عن بعض آثاره العلمية و الطرائف الأدبية و عن تحقيقاته فى كتاب المنقوص و الممدود للفراء .

وقد احتوى هذا العدد الممتاز على بعض بحوث العلامة الميمنى التحقيقية التى دبجها بيراعه القيم ، و هى ذات فوائد علمية غزيرة و إفادات نادرة ، و من بينها .

١- النسخة الفريدة من نقائض جرير و الأخطل لأبى تمام .

٢- تصحيحات على « لسان العرب » .

٣- بشار و الخالديان و الشارح و معاصروه .

٤- مقدمة شعر أبى العطاء السندى .

٥- ما ذا رأيت بخزائن البلاد الاسلامية .

٦- مكتبة جامع القروين بفاس و نوادرها .

٧- مناقب بغداد ، وهو لابن الجوزى حقا .

٨- كتب أعجبتنى .

٩- جامعة عليكره الاسلامية .

و قد أشار الدكتور نبى بخش بلوج إلى أسلوب الميمنى فى محاضراته التى

كان يلقيها على طلابه ، فى مقال مستقل بعنوان (محاضرات الميمنى) على أن العنوان لا يعبر عما يريده الكاتب ، و إنما يتبادر به إلى الذهن أنه جمع محاضراته و رتبها فى هذا المقال .

وقد دون الدكتور مختار الدين آرزو ، رسائل الميمنى، منه و إليه، وحلى بها هذا العدد الممتاز ، و هى ذات فوائد علمية و أدبية عظيمة ، مع مالها من قدسية و أهمية تاريخية كذلك، كما أن العدد يتجمل بتحيتين شعريتين إلى العلامة الميمنى، أولاهما بقلم العلامة محمد محمود شاكر و الأخرى بقلم الأستاذ أبى محفوظ الكريم معصومى ، و عنوانها ذكرى العلامة عبد العزيز الميمنى ، و هى قصيدة طويلة بلغة نقية تضفى على العدد لونا جميلا من الأدب و الظرف .

على كل فان هذا العدد الممتاز عن حياة الميمنى و آثاره وخدماته ، جدير بالاعتناء و الاستفادة ، لأنه بمثابة وثيقة تاريخية عن حياته و مآثره الجليلة ، وستكون عمدة للباحثين عن آثار و خدمات العلامة الميمنى ، و للذين يريدون أن يحققوا معارفه و يعرفوا خدماته العلمية و الأدبية إلى الأوساط العالمية ، و مراكز العلم و التحقيق ، و يوازنوا بينه و بين التحقيقات العلمية التى يتولاها المستشرقون و المتفرنجون ممن يدسون السموم و يحرفون الواقع ، و يشوهون وجه الحقائق العلمية الناصعة .

فما أحرى العلامة الميمنى أن يقلده الناس فى أعمال البحث و التحقيق ، و يحذوا خطواته و آثاره فى مجال العلم و اللغة و الأدب و التاريخ .

نهنئ الدكتور آرزو على هذه الهدية الأدبية والتاريخية النالية ، و نبارکه على هذا التوفيق الكريم الذى رافقه فى خراج هذا العدد الممتاز .

(سعيد الأعظمى)

أخبار اجتماعيـــة وثقافية :

مؤتمر تاريخى لهيئة الأحوال الشخصية

للمسلمين فى الهند

إعداد : محمد إبراهيم الندوى

شهدت مدينة بومبائى مؤتمراً تاريخياً ، عقدته هيئة الأحوال الشخصيـــة الاسلامية لعموم الهند فيما بين ١٥-١٦ من شهر ديسمبر ١٩٨٦م ، حضرته نخبة من العلماء و المفكرين و العاملين فى مجالات الحياة الدينية و السياسية ، ممن كانوا يمثلون مدارس الفكر ووجهات الأنظار المختلفة ، وشاركت فيه مجموعة من الصحفيين والسياسين ، وزعماء الأحزاب المختلفة ، و كان على رأس المؤتمر سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى رئيس هيئة الأحوال الشخصية الاسلامية لعموم الهند.

وذلك احتجاجاً على مشروع القانون المدنى الموحد للحياة الاجتماعية والعائلية الذى تحاول الحكومة الهندية فرضه على جميع المواطنين و السكان الهنود بدون استثناء ، تحت ستار القانون التطوعى .

هذا القانون المدنى الموحد التطوعى لايعنى فى مضامينه إلا أن يتحاكم المسلمون فى قضاياهم العائلية ، و أحوالهم الشخصية التى لا تتعلق إلا بهم ، إلى المحاكم المدنية الحكومية بطواعية نفوسهم ، فيتم قضاؤهم حسب القانون الموحد الذى لايمت إلى الدين بصلة ، بذلك يتحول هذا القانون التطوعى اسماً ، إجبارياً بتأثيره و عمله ، و حينئذ لا يكون للمسلمين أى حيلة سوى الحسرة و الندم .

و ألقى سماحة الشيخ الندوى رئيس الهئية محاضرة طويلة قيمة أمام الجموع الحاشدة يشرح فيها خطورة الموقف شعباً و حكومة إذا تم فرض هذا القانون ، وأنذر الحكومة بما يترتب به على المسلمين من غياب الشخصية الاسلامية و انفلات زمام الشريعة الاسلامية من أيديهم .

فقد قال سماحته فى خطابه : إن الاسلام دين سماوى نزل من تقدير العزيز الحكيم يشمل جوانب الحياة الانسانية كلها لم يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها

جزءاً وكلا ، لا يترك لأى عقل أو فكر و إن بلغ إلى ما بلغ وسما ، مجـــالا ليتدخل فيه أو يدخل تعديلا بسيطاً جزئياً و لو بكلمة واحـــدة ، فان الاسلام يختلف رأساً من الديانات الأخرى التى خضعت أو تخضع قوانينها للاصلاح والتعديل ، و يخضع وضعها لمقتضيات العصر و الظروف المتغيرة بما تتصف قوانينها العائليـــة والاجتماعية بالشطط وعدم الاتزان لأنها كانت من وضع البشر أو وقعت فريسة عبث العابثين و المحرفين ، أو غبر عليه الدهر نتيجة الاغفال والاهمال ، و ليس كذلك الاسلام فانه يعتبر القانون العائلى جزءاً من العقيدة والايمان شرعه الخالق البارىء الذى نزل القرآن ونظم قانون العقائد والعبادات ، و المسلم لا مخلص له من هذه العقيدة والايمان بأنه قانون إلهى ، فالشارع هو الله الذى خلق الانسان وهو محيط بكل حاجاته الفطرية و مواطن ضعفه كما أكد ذلك بقوله جل وعلا (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) فاذا أقر المسلم وآمن بأن هذا القانون من شرعة الله و منهاجه ليكون شريعة خالدة عالمية شاملة لأمة حية باقية ، ثم تقدم بالمطالبة فيه بالتعديل و التبديل فلا يدل ذلك إلا على تعارض عقلى بل و إنما هو نفاق فى العقيدة و العمل ، إن القضية ليست قضية الايمان بالغيب و الاعتقاد الدينى و العصبية الدينية وحدهـا ، فان هناك شواهد علمية و عقلية كثيرة و اعترافات واضحة وتجـارب عملية لكبار المثقفين من المسلمين و غيرهم و للشرعين المنصفين سواء فى الشرق أو الغرب ، على كمال هذا القانون و اتزانه وعدله و احتوائه على تغيرات الزمان و المكان ، مما لا ينكره إلا معاند .

وقال سماحته : إن المسلمين إذا قبلوا التعديل فى قانون الأحوال الشخصية عادوا مبتورين ويخشى بعد ذلك أن يبقوا أسوأ حالا منهم الآن ، لأن الدارسين لفلسفة الأخلاق و النفس و الأديان يعرفون جيداً أن الدين لا يمكن أن ينفصل عن نظام الحياة الاجتماعية و الحضارية الخاص ، لما بينهما من رابطة وثيقة و وشيجة طبيعية متلاحمـــة حيث لا يصح الاجتماع منفصلا عن الدين كما أن الدين يبقى

متعطلا ضائعا إذا لم يصاحبه الاجتماع ، وبالتالى يكون الانسان فى المسجد مسلماً و فى بيته و أهله و شئونه و علاقاته العائلية و الأسرية و أداء حقوقه و تقسيم ميراثه غير مسلم ، فلا ولن نقبل أبداً أن يفرض علينا نظام آخر يغاير نظام الاسلام فى حياتنا الاجتماعية و العائلية والحضارية بل ونعتبر ذلك خروجاً على الدين .

و أخيراً حث سماحة الشيخ المسلمين على التمسك بالدين الاسلامى ككل ، واحتساب حياتهم العملية ، واحترام ما أنعم الله به عليهم من نعمة عظيمة ، والاحتفاظ بها علماً وعملا ، وحرضهم على ترك البدع و التقاليد الجاهلية ، وعلى اجتنابهم من المغالاة فى المهور ، و المطالبة بالتجهيزات فى العرس ، و على الاستيصاء بالنساء خيراً ، و الاحتراز من التسرع فى التطليق ، و بشرهم بانشاء دور للقضاء الشرعى ، و إعداد كتب على طراز حديث فى ضوء الكتاب و السنة ، و أقوال الفقهاء ، و الأسوة النبوية ، فى الحياة العائلية و الاجتماعية ، و قد تم إعداد قسط كبير منها ، و أرسل إلى العلماء الراسخين ، و الذين لهم نظر دقيق و عميق فى نصوص الدين للنظر و التفكير فيه .

طالب المؤتمر فى إحدى قراراته من الحكومة بأن لاتسرع فى فرض القانون الموحد الطوعى أو الاجبارى ، ولا ترهق نفسها فى وضع أى قانون مدنى موحد يعارض شريعة الاسلام .

واتفق الرأى العام لأعضاء الهيئة على بقاء سماحة الشيخ الندوى رئيساً لها لمرة ثانية ، و لمدة ثلاث سنوات مقبلة ، و فضيلة الشيخ الجليل منة الله الرحمانى الأمين العام للهيئة .

العدد القادم : و هو العدد الأول للمجلد الثانى و الثلاثين سيصدر - باذن الله فى شهر شعبان ١٤٠٧هـ المقبل ويكون عدد رمضان (مايو ١٩٨٧م) فنرجو القراء أن لا يترقبوا عدد شعبان ١٤٠٧هـ (أبريل ١٩٨٧م) «التحرير»

(بقية الافتتاحية المنشورة على ص : ٨)

المحكمة إلا عن طريق البرلمان ، وأعضاء البرلمان لم يكونوا يرون إلى ما فى هذا الحكم من معارضة للشريعة الاسلامية ، بل ومعظمهم كانوا من معارضى الشريعة ، و تحولت القضية من موضوع دينى إلى قضية عزة و وقار ، و رغم أن رئيس الوزراء الهندى كان قد أقنعه سماحة الشيخ الندوى بخطأ المحكمة العليا فى الحكم إلا أن أعضاء البرلمان لم يكونوا مقتنعين ولا موافقين على تعديل حكم المحكمة العليا ومن بينهم بعض المسلمين أيضاً ، فلو لا مجهوداته المضنية وقلقه الشديد و سهره على هذه الجبهة الحرجة الدقيقة لماتم ما تم من إقرار البرلمان بتعديل حكم المحكمة العليا والموافقة على مشروع الشريعة الاسلامية فى قضية المطلقة المسلمة .

و أنذر المسلمين خطر آخر أكبر منه ودق بابهم ، و هو خطر إذابة المسلمين فى تيار القومية الهندية عن طريق وضع قانون مدنى موحد يفرض على جميع سكان البلاد من كل طبقة و أمة ، ولا يعنى ذلك أن يتنصل المسلمون عن حضارتهم و تاريخهم فحسب بل إن معنى ذلك هو أن يودعوا شريعتهم الخالدة لآخر مرة ، ولا يعتمدوا عليها فى أى جزء من حياتهم .

ورأى المسلمون أن سماحته بصفته رئيساً لهيئة الأحوال الشخصية الاسلامية يقود مسيرة الاحتجاج و الاستنكار ضد أى محاولة لوضع القانون المدنى الموحد و فرضه على المسلمين ، تطوعياً كان أم إجبارياً ، إنه يبذل الآن جميع اهتمامه بالموضوع و يستمر فى تفكيره فيما قد يحل المشكلة و يتفادى المسلمون من خطر الذوبان فى بوتقة الانحراف و الضياع ، و تمتنع عوامل الفساد و التحريف التطاول فى شريعة الله تعالى . و نرجو أن النجاح سيكون حليفه - بتوفيق الله - فى هذا الموضوع المهم كذلك .

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)

سعيد الأعظمى

REGD No. LW/NP 56
ALBAAS-EL-ISLAMI

صدر حديثاً :

الأستاذ ابو الحسن علي الحسني الندوي

كاتباً ومفكراً

في ضوء مؤلفاته وكتاباته

وكما يراه علماء العرب والمسلمين وأدباؤهم

دراسة واستعراض

بقلم :
نذر الحفيظ الندوى الأزهرى
أستاذ دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

الناشر :
رابطة الأدب الاسلامى
(ندوة العلماء) لكهنؤ (الهند)

قام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوى من مؤسسة الصحافة و النشر ندوة العلماء -

المكتبة العامة لندوة العلماء
مكتبة المدارس شبلي الأعظمي
ندوة العلماء - لكهنؤ، الهند

نمبر	نام کتاب	نام مصنف
د ۹۲۱ ۸۷ د ۵۷	البعث الإسلامي رمضان ۱۴۰۶ھ تا محرم ۱۴۰۷ھ	سعید الاعظمی الندوی
فن ہرائد		دستخط